الفصل السابع عشر
غزوة تبوك (٩ هـ) وهي غزوة العسرة

المبحث الأول

تاريخ الغزوة، وأسماؤها وأسبابها

أولاً: تاريخها وأسماؤها:

خرج رسول الله ﷺ لهذه الغزوة في رجب من العام التاسع الهجري [١]، بعد العودة من حصار الطائف بنحو ستة أشهر [٢].

واشتهرت هذه الغزوة باسم غزة تبوك، نسبة إلى مكان هو عين تبوك التي انتهى إليها الجيش الإسلامي، وأصل هذه التسمية جاء في صحيح مسلم، فقد روى بسنده إلى معاذ أن رسول الله ﷺ قال: «ستأتون غداً إن شاء الله عين تبوك، وإنكم لن تأتوها حتى يضحى النهار، فمن جاءها منكم فلا يمس من مائها شيئاً حتى آتي» [٣].

وللغزوة اسم آخر وهو غزوة العسرة، وقد ورد هذا الاسم في القرآن الكريم حينما تحدث عن هذه الغزوة في سورة التوبة، قال تعالى: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٧] وقد روى البخاري بسنده إلى أبي موسى الأشعري، قال: أرسلني أصحابي إلى رسول الله ﷺ أسأله الحملان لهم، إذ هم معه في جيش العسرة، وهي غزوة تبوك. . . . ، وعنون البخاري لهذه الغزوة بقوله: باب غزوة تبوك وهي غزوة العسرة [٤].

لقد سميت بهذا الاسم لشدة ما لاقى المسلمون فيها من الضنك، فقد كان الجو شديد الحرارة، والمسافة بعيدة، والسفر شاقاً لقلة المؤونة، وقلة الدواب التي تحمل المجاهدين إلى

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١٤/ ٥٤٠ ـ ٥٤٢)؛ السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، (ص ٦١٤).
(٢) انظر: فتح الباري (١٦/ ٢٣٧).
(٣) صحيح مسلم (٤/ ١٧٨٤) رقم (٧٠٦).
(٤) البخاري (٥/ ١٥٠) رقم (٤٤١٥).

أرض المعركة، وقلة الماء في هذا السفر الطويل والحر الشديد، وكذلك قلة المال الذي يجهز به الجيش وينفق عليه [١]، ففي تفسير عبد الرزاق عن معمر بن عقيل قال: خرجوا في قلة من الظهر وفي حر شديد حتى كانوا ينحرون البعير فيشربون ما في كرشه من الماء، فكان ذلك عسرة من الماء [٢]، وهذا الفاروق عمر بن الخطاب يحدثنا عن مدى ما بلغ العطش من المسلمين فيقول: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى تبوك في قيظ شديد فنزلنا منزلاً أصابنا فيه عطش شديد حتى ظننا أن رقابنا ستنقطع حتى إن كان أحدنا يذهب يلتمس الخلاء فلا يرجع حتى يظن أن رقبته تنقطع، وحتى إن الرجل لينحر بعيره فيعصر فرشه فيشربه ويضعه على بطنه [٣].

وللغزوة اسم ثالث هو: الفاضحة ذكره الزرقاني ـ رحمه الله ـ في كتابه شرح المواهب اللدنية [٤]، وسميت بهذا الاسم لأن هذه الغزوة كشفت عن حقيقة المنافقين وهتكت أستارهم، وفضحت أساليبهم العدائية الماكرة، وأحقادهم الدفينة، ونفوسهم الخبيثة وجرائمهم البشعة بحق رسول الله والمسلمين [٥].

وأما موقع تبوك فيقع شمال الحجاز، يبعد عن المدينة ٧٧٨ ميلاً حسب الطريق المعبدة في الوقت الحاضر، وكانت من ديار قضاعة الخاضعة لسلطان الروم آنذاك [٦].

ثانياً: أسبابها:

ذكر المؤرخون أسباب هذه الغزوة فقالوا: وصلت الأنباء للنبي ﷺ من الأنباط الذين يأتون بالزيت من الشام إلى المدينة؛ أن الروم جمعت جموعاً وأجلبت معهم لخم وجذام وغيرهم من مستنصرة العرب وجاءت في مقدمتهم إلى البلقاء [٧]، فأراد النبي ﷺ أن يغزوهم قبل أن يغزوه [٨].

ويرى ابن كثير: أن سبب الغزوة هو استجابة طبيعية لفريضة الجهاد ولذلك عزم رسول الله ﷺ على قتال الروم، لأنهم أقرب الناس إليه، وأولى الناس بالدعوة إلى الحق لقربهم إلى الإسلام وأهله، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ

(١) انظر: الصراع مع الصليبيين لأبي فارس (ص ٨٣).
(٢) فتح الباري (٩/ ١٧٤).
(٣) انظر: مجمع الزوائد (٦/ ١٩٤).
(٤) انظر: شرح المواهب اللدنية (٣/ ٦٢).
(٥) انظر: الصراع مع الصليبيين (ص ٨٤).
(٦) انظر: المجتمع الإسلامي للعمري (ص ٢٢٩).
(٧) البلقاء: هي كورة من أعمال دمشق بين الشام ووادي القرى عاصمتها عمّان.
(٨) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٢/ ١٦٥).

فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوٓا أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ١٢٣] .

والذي قاله ابن كثير هو الأقرب للصواب، إضافة إلى أن الأمر الذي استقر عليه حكم الجهاد هو قتال المشركين كافة، بمن فيهم أهل الكتاب الذين وقفوا في طريق الدعوة وظهر تحرشهم بالمسلمين كما روى أهل السير [١].

ولا يمنع ما ذكره المؤرخون بأن سبب الخروج هو عزم الروم على غزو المسلمين في عقر دارهم، أن يكون هذا حافزاً للخروج إليهم، لأن أصل الخروج كان وارداً.

لقد كان المسلمون على حذر من مجيء غسان إليهم من الشام، ويظهر ذلك جلياً مما وقع لعمر بن الخطاب، فقد كان النبي ﷺ آلى من نسائه شهراً فهجرهن، ففي صحيح البخاري: وكنا تحدثنا أن آل غسان تنعل النعال لغزونا فنزل صاحبي يوم نوبته، فرجع عشاء فضرب بابي ضرباً شديداً وقال: أثمَّ هو؟ ففزعت، فخرج إليه، وقال: حدث أمر عظيم، فقلت: ما هو؟ أجاءت غسان؟ قال: لا بل أعظم منه وأطول، طلق رسول الله ﷺ نساءه . . . . [٢].

ثالثاً: الإنفاق في هذه الغزوة وحرص المؤمنين على الجهاد:

حثَّ رسول الله ﷺ الصحابة على الإنفاق في هذه الغزوة، لبعدها، وكثرة المشركين فيها، ووعد المنفقين بالأجر العظيم من الله، فأنفق كل حسب مقدرته، وكان عثمان رضي الله عنه صاحب القدح المعلى في الإنفاق في هذه الغزوة [٣]، فهذا عبد الرحمٰن بن خُباب يحدثنا عن نفقة عثمان حيث قال: شهدت النبي ﷺ وهو يحث على جيش العسرة، فقام عثمان بن عفان فقال: يا رسول الله عليَّ مائة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله، ثم حضّ على الجيش فقام عثمان بن عفان فقال: يا رسول الله عليَّ مائتا بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله، ثم حضّ على الجيش، فقام عثمان بن عفان فقال: يا رسول الله عليَّ ثلاثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله، فأنا رأيت رسول الله ينزل عن المنبر وهو يقول: «ما على عثمان ما عمل بعد هذه، ما على عثمان ما عمل بعد هذه» [٤]، وعن عبد الرحمٰن بن سمرة رضي الله عنه قال: جاء عثمان بن عفان إلى النبي ﷺ بألف دينار في ثوبه حين جهز النبي ﷺ جيش العسرة، قال: فجعل النبي ﷺ يقلبها بيده ويقول: «ما ضرّ ابن عفان ما عمل بعد اليوم» يرددها مراراً [٥].

وأما عمر فقد تصدق بنصف ماله وظن أنه سيسبق أبا بكر بذلك، وهذا الفاروق يحدثنا

---

(١) انظر: البداية والنهاية (٥/ ٣).
(٢) البخاري، كتاب النكاح، باب موعظة الرجل ابنته (٦/ ١٨٠) رقم (٥١٩١).
(٣) انظر: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية (ص ٦١٥).
(٤) سنن الترمذي، مناقب (٥/ ٦٢٥، ٦٢٦) رقم (٣٧٠٠).
(٥) مسند أحمد (٥/ ٦٣).

بنفسه عن ذلك حيث قال: أمرنا رسول الله ﷺ يوماً أن نتصدق، فوافق ذلك مالاً عندي، فقلت: اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يوماً، فجئت بنصف مالي، فقال رسول الله ﷺ: «ما أبقيت لأهلك؟» قلت: مثله، قال: وأتى أبو بكر رضي الله عنه بكل ما عنده، فقال له رسول الله ﷺ: «ما أبقيت لأهلك؟» قال: أبقيت لهم الله ورسوله قلت: لا أسابقك إلى شيء أبداً [١].

وروى أن عبد الرحمٰن بن عوف ألفي درهم، وهي نصف أمواله لتجهيز جيش العسرة [٢].

وكانت لبعض الصحابة نفقات عظيمة، كالعباس بن عبد المطلب، وطلحة بن عبيد الله، ومحمد بن مسلمة، وعاصم بن عدي رضي الله عنهم [٣].

وهكذا يفهم المسلمون أن المال وسيلة، واستطاع أغنياء الصحابة أن يبرهنوا أن مالهم في خدمة هذا الدين، يدفعونه عن طواعية ورغبة، وإن تاريخ الأغنياء المسلمين تاريخ مشرّف، لأنه تاريخ المال في يد الرجال، لا تاريخ الرجال تحت سيطرة المال، وكما كان الجهاد بالنفس، فكذلك هو بالمال، وإن الذين ربوا على أن يقوموا أنفسهم، تهون عليهم أموالهم في سبيل الله تعالى [٤].

إن في مسارعة الموسرين من الصحابة إلى البذل والإنفاق دليلاً على ما يفعله الإيمان في نفوس المؤمنين من مسارعة إلى فعل الخير ومقاومة لأهواء النفس وغرائزها مما تحتاج إليه كل أمة لضمان النصر على أعدائها، وخير ما يفعله المصلحون وزعماء النهضات هو غرس الدين في نفوس الناس غرساً كريما [٥].

وقدم فقراء المسلمين جهدهم من النفقة على استحياء، ولذلك تعرضوا لسخرية وغمز ولمز المنافقين، فقد جاء أبو عُقيل بنصف صاع تمر وجاء آخر بأكثر منه، فلمزوهما قائلين: إن الله لغني عن صدقة هذا!! وما فعل هذا الآخر إلا رياء، فنزلت الآية ﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾ [التوبة: ٧٩] [٦].

وقالوا: ما أعطى بن عوف هذا إلا رياء، فكانوا يتهمون الأغنياء بالرياء، ويسخرون من صدقة الفقراء [٧].

---

(١) سنن أبي داود، الزكاة (٢/ ٣١٢، ٣١٣) رقم (١٦٧٨).
(٢) انظر: السيرة في ضوء المصادر الأصلية (ص ٦١٦).
(٣) انظر: مغازي الواقدي (٣/ ٣٩١).
(٤) انظر: معين السيرة (ص ٤٤٩).
(٥) انظر: السيرة النبوية دروس وعِبَر للسباعي (ص ١٦١).
(٦) انظر: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية (ص ٦١٦).
(٧) المصدر السابق، (ص ٦١٧).

لقد حزن الفقراء من المؤمنين لأنهم لا يملكون نفقة الخروج إلى الجهاد؛ فهذا عُلَبة بن زيد أحد البكائين صلّى من الليل وبكى، وقال: اللهم إنك قد أمرت بالجهاد، ورغبت فيه، ولم تجعل عندي ما أتقوى به مع رسولك، وإني أتصدق على كل مسلم بكل مظلمة أصابتني في جسد أو عرض، فأخبره النبي ﷺ أنه قد غفر له [١].

وفي هذه القصة وما جرى فيها آيات من الإخلاص، وحب الجهاد لنصرة دين الله وبث دعوته في الآفاق، وفيها من لطف الله بضعفاء المؤمنين الذين يعيشون في حياتهم عيشة عملية [٢].

وهذا واثلة بن الأسقع نتركه يحدثنا عن قصته: . . . . عندما نادى رسول الله في غزوة تبوك، خرجت إلى أهلي، فأقبلت ـ وقد خرج أول صحابة رسول الله ـ فطفقت في المدينة أنادي: ألا من يحمل رجلاً له سهمه، فإذا شيخ من الأنصار، فقال: لنا سهمه على أن نحمله [٣] عقبة، وطعامه معنا؟ فقلت: نعم، فسر على بركة الله، فخرجت مع خير صاحب حتى أفاء الله علينا [٤]، فأصابني قلائص [٥]، فسقتهن حتى أتيته، فخرج، فقعد على حقيبة من حقائب إبله، ثم قال: سقهن مدبرات، ثم قال: سقهن مقبلات، فقال: ما أرى قلائصك إلا كراماً، إنما هي غنيمتك التي شرطت لك، قال: خذ قلائصك يا ابن أخي، فغيّر سهمك أردنا [٦].

وهكذا تنازل واثلة في بداية الأمر عن غنيمته ليكسب الغنيمة الأخروية، أجراً وثواباً يجده عند الله يوم لقائه، وتنازل الأنصاري عن قسم كبير من راحته ليتعاقب وواثلة على راحلته، ويقدم له الطعام مقابل سهم آخر هو الأجر والثواب.

إنها مفاهيم تنبع من المجتمع الذي تربى على كتاب الله وسنّة رسوله، لها نفس الخاصية في الإضاءة وتحمل نفس البريق، متمم بعضها لبعضها الآخر [٧].

وجاء الأشعريون يتقدمهم أبو موسى الأشعري يطلبون من النبي ﷺ أن يحملهم على إبل ليتمكنوا من الخروج للجهاد، فلم يجد ما يحملهم عليه حتى مضى بعض الوقت فحصل لهم على ثلاثة من الإبل [٨].

---

(١) وردت من طرق ضعيفة ولها شاهد صحيح وهي بالجملة تصلح للشاهد التاريخي، انظر: المجتمع المدني للعمري (ص ٢٣٥).

(٢) انظر: محمد رسول الله، صادق عرجون (٤/ ٤٤٣).

(٣) عقبة: أي بالتعاقب.

(٤) كان واثلة بن الأسقع أحد أفراد سرية خالد بن الوليد في دومة الجندل.

(٥) قلائص: إبل.

(٦) انظر: جامع الأصول رقم (٦١٨٨) معين السيرة (ص ٤٥٣).

(٧) انظر: معين السيرة (ص ٤٥٣).

(٨) انظر: المجتمع المدني (ص ٢٣٦).

وبلغ الأمر بالضعفاء والعجزة ممن أقعدهم المرض أو النفقة عن الخروج إلى حد البكاء شوقاً للجهاد وتحرجاً من القعود حتى نزل فيهم قرآن: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ﴾ [التوبة: ٩١، ٩٢].

إنها صورة مؤثرة للرغبة الصحيحة في الجهاد على عهد رسول الله، وما كان يحسه صادقو الإيمان من ألم إذا ما حالت ظروفهم المادية بينهم وبين القيام بواجباتهم، وكان هؤلاء المعوزون، وغيرهم ممن عذر الله لمرض أو كبر سن أو غيرهما يسيرون بقلوبهم مع المجاهدين [١]، وهم الذين عناهم رسول الله ﷺ عندما قال:

«إن بالمدينة أقواماً ما سرتم مسيراً ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم»، قالوا: يا رسول الله، وهم بالمدينة؟ قال: «وهم بالمدينة حبسهم العذر» [٢].

رابعاً: موقف المنافقين من غزوة تبوك:

عندما أعلن الرسول ﷺ النفير ودعا إلى الإنفاق في تجهيز هذه الغزوة، أخذ المنافقون في تثبيط همم الناس، قائلين لهم: لا تنفروا في الحر، فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓا۟ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [التوبة: ٨١، ٨٢].

وقال رسول الله ﷺ ـ وهو في جهازه لتبوك ـ للجد بن قيس: «يا جد؛ هل لك العام في جلاد بني الأصفر؟» فقال: يا رسول الله أوتأذن لي ولا تفتني؟ فوالله لقد عرف قومي أنه ما من رجل أشد عجباً بالنساء مني، وإني أخشى إن رأيت نساء بني الأصفر أن لا أصبر، فأعرض عنه رسول الله ﷺ وقال: «قد أذنت لك» ففيه نزلت الآية: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ ۚ أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [التوبة: ٤٩]. وذهب بعضهم إلى النبي ﷺ مبدين أعذاراً كاذبة ليأذن لهم بالتخلف، فأذن لهم، فعاتبه الله بقوله: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [التوبة: ٤٣].

وبلغ رسول الله ﷺ أن ناساً منهم يجتمعون في بيت سويلم اليهودي يثبطون الناس عن رسول الله ﷺ، فأرسل إليهم من أحرق عليهم بيت سويلم [٣].

---

(١) انظر: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية (ص ٦١٨).

(٢) البخاري، كتاب المغازي رقم (٤٤٢٣).

(٣) انظر: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية (ص ٦١٨).

وهذا يدل على مراقبة المسلمين الدقيقة ومعرفتهم بأحوال المنافقين واليهود، فقد كانت عيون المسلمين يقظة تراقب تحركات اليهود والمنافقين واجتماعاتهم وأوكارهم، بل كانوا يطَّلعون فيها على أدق أسرارهم واجتماعاتهم، وما يدور فيها من حبك المؤامرات وابتكار أساليب التثبيط واختلاق الأسباب الكاذبة، لإقناع الناس بعدم الخروج للقتال، وقد كان علاج رسول الله لدعاة الفتنة وأوكارها حازماً حاسماً، إذ أمر بحرق البيت على من فيه من المنافقين، وأرسل من أصحابه من ينفِّذه، ونفذ بحزم، وهذا منهج نبوي كريم يتعلم منه كل مسؤول في كل زمان ومكان، كيف يقف من دعاة الفتنة ومراكز الإشعاعات المضللة التي تلحق الضرر بالأفراد والمجتمعات والدول، لأن التردد في مثل هذه الأمور يعرض الأمن والأمان إلى الخطر وينذر بزوالها [١].

لقد تحدث القرآن الكريم عن موقف المنافقين قبل الغزوة وأثناءها وبعدها، ومما جاء من حديث القرآن الكريم عن موقف المنافقين قبل غزوة تبوك ما يتضمن استئذانهم، وتخلفهم عن الخروج وكان ممن تخلف عبد الله بن أبي ابن سلول وقد تحدث القرآن عنهم فقال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ وَلَٰكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ ۚ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [التوبة: ٤٢] ، فقد بيَّن ـ ﷻ ـ موقف المنافقين وأنهم تخلفوا بسبب بعد المسافة وشدتها، وأنه لو كان الذي دعوتهم إليه يا محمد عرضاً من أعراض الدنيا ونعيمها، وكان السفر سهلاً لاتبعوك في الخروج ولكنهم تخلفوا ولم يخرجوا، فالآية تشرح وتوضح ملابسات موقفهم قبل الخروج إلى الغزوة وأسباب هذا الموقف، ثم حكى ـ سبحانه ـ ما سيقوله هؤلاء المنافقون بعد عودة المؤمنين من هذه الغزوة ﴿وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ .

كان نزول هذه الآية قبل رجوعه ﷺ من تبوك.

والمعنى: وسيحلف هؤلاء المنافقون بالله ـ كذباً وزوراً ـ قائلين: لو استطعنا أيها المؤمنون أن نخرج معكم للجهاد في تبوك لخرجنا، فإننا لم نتخلف عن الخروج معكم إلا مضطرين، فقد كانت لنا أعذارنا القاهرة التي حملتنا على التخلف [٢].

وقوله ـ سبحانه ـ: ﴿يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ .

قال ابن عاشور: أي يحلفون مهلكين أنفسهم ـ أي موقعينها في الهلك ـ والهلك: الفناء والموت، ويطلق على الأضرار الجسيمة وهوالمناسب هنا ـ أي يتسببون في ضر أنفسهم بالإيمان الكاذبة، وهو ضر الدنيا وعذاب الآخرة، وفي هذه الآية دلالة على أن تعمُّد اليمين الفاجرة

(١) انظر: الصراع مع الصليبيين (ص ١٢١).
(٢) انظر: حديث القرآن الكريم (٢/ ٦٤٧).

يفضي إلى الهلاك [١].

ثم عاتب الله ـ تعالى ـ نبينا محمداً ﷺ بقوله: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [التوبة: ٤٣].

قال مجاهد [٢]: نزلت هذه الآية في أناس قالوا: استأذنوا رسول الله ﷺ، فإن أذن لكم فاقعدوا وإن لم يأذن لكم فاقعدوا، وهؤلاء هم فريق من المنافقين، منهم عبد الله بن أُبي ابن سلول، والجد بن قيس، ورفاعة بن التابوت، وكانوا تسعة وثلاثين واعتذروا بأعذار كاذبة [٣].

والآية الكريمة عتاب لطيف من اللطيف الخبير ـ سبحانه ـ لحبيبه ﷺ على ترك الأولى، وهو التوقف عن الإذن إلى انجلاء الأمر وانكشاف الحال [٤]، ثم قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾ [التوبة: الآيتان ٤٤، ٤٥].

هذه الآيات أول ما نزل في التفرقة بين المنافقين والمؤمنين في القتال [٥]، فبيَّن سبحانه أنه ليس من شأن المؤمنين بالله واليوم الآخر الاستئذان وترك الجهاد في سبيل الله، وإنما هذا من صفات المنافقين الذين يستأذنون من غير عذر، وصفهم ـ سبحانه ـ بقوله: ﴿وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ أي: شكت في صحة ما جئتهم به، وقوله: ﴿فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾ أي: يتحيرون يقدمون رجلاً ويؤخرون أخرى، وليست لهم قدم ثابتة في شيء [٦].

لقد كانت غزوة تبوك منذ بداية الإعداد لها مناسبة للتمييز بين المؤمنين والمنافقين، وضحت فيها الحواجز بين الطرفين، ولم يعد هناك أي مجال للتستر على المنافقين أو مجاملتهم، بل أصبحت مجابهتهم أمراً ملحاً بعد أن عملوا كل مافي وسعهم لمجابهة الرسول والدعوة، وتثبيط المسلمين عن الاستجابة للنفير الذي أعلنه الله تعالى ورسوله ﷺ، والذي نزل به القرآن الكريم، بل وأصبح الكشف عن نفاق المنافقين، وإيقافهم عند حدهم واجباً شرعياً [٧].

---

(١) انظر: تفسير التحرير والتنوير (١٠/٢٠٩).
(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٢/ ٣٦٠).
(٣) انظر: التحرير والتنوير (١٠/ ٢١٠).
(٤) انظر: حديث القرآن الكريم (٢/).
(٥) انظر: تفسير المراغي (٤/ ١٢٧).
(٦) انظر: تفسير ابن كثير (٢/ ٣٦١).
(٧) انظر: نضرة النعيم (١/ ٣٨٩).

خامساً: إعلان النفير وتعبئة الجيش:

أعلن النفير العام للخروج لغزوة تبوك، حتى بلغ عدد من خرج مع النبي ﷺ إلى تبوك ثلاثين ألفاً، وقد عاتب القرآن الكريم الذين تباطأوا بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [التوبة: ٣٨].

وقد طالبهم القرآن الكريم بأن ينفروا شباناً وشيوخاً وأغنياء وفقراء بقوله تعالى: ﴿ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٤١].

لقد استطاع رسول الله ﷺ أن يحشد ثلاثين ألف مقاتل [١]، من المهاجرين والأنصار وأهل مكة والقبائل العربية الأخرى، ولقد أعلن رسول الله ﷺ على غير عادته في غزواته هدفه ووجهته في القتال، إذ أعلن صراحة أنه يريد قتال بني الأصفر (الروم)، علماً بأن هديه في معظم غزواته أن يورى فيها [٢]، ولا يصرح بهدفه ووجهته وقصده حفاظاً على سرية الحركة ومباغتة العدو [٣].

وقد استدل بعض العلماء بهذا الفعل على جواز التصريح لجهة الغزو، إذا لم تقتض المصلحة ستره، وقد صرح ﷺ في هذه الغزوة ـ على غير العادة ـ بالجهة التي يريد غزوها، وجلّى هذا الأمر للمسلمين، لأسباب منها:

١ ـ بعد المسافة، فقد كان رسول الله ﷺ يدرك أن السير إلى بلاد الروم يُعدُّ أمراً صعباً، لأن التحرك سيتم في منطقة صحراوية ممتدة، قليلة الماء والنبات، ولا بدّ حينئذٍ من إكمال المؤنة ووسائل النقل للمجاهدين قبل بدء الحركة، حتى لا يؤدي نقص هذه الأمور إلى الإخفاق في تحقيق الهدف المنشود.

٢ ـ كثرة عدد الروم بالإضافة إلى أن مواجهتهم تتطلب إعداداً خاصاً، فهم عدو يختلف في طبيعته عن الأعداء الذين واجههم النبي ﷺ من قبل، فأسلحتهم كثيرة، ودرايتهم بالحرب كبيرة وقدرتهم القتالية فائقة [٤].

٣ ـ شدة الزمان، وذلك لكي يقف كل امرئٍ على ظروفه، ويعدّ النفقة اللازمة له في هذا السفر الطويل لمن يعول وراءه [٥].

٤ ـ أنه لم يعد مجال للكتمان في هذا الوقت، حيث لم يبق في جزيرة العرب قوة معادية لها

---

(١) انظر: الصراع مع الصليبيين (ص ٩٧).
(٢) المصدر السابق، (ص ٩٧).
(٣) المصدر السابق، (ص ٩٧).
(٤) انظر: الرسول القائد (ص ٣٩٨).
(٥) انظر: البداية والنهاية (٥/ ٤).

خطرها، تستدعي هذا الحشد الضخم سوى الرومان ونصارى العرب الموالين لهم في منطقة تبوك ودومة الجندل والعقبة [١].

لقد شرع رسول الله ﷺ لنا الأخذ بمبدأ المرونة عند رسم الخطط الحربية، ومراعاة المصلحة العامة في حالتي الكتمان والتصريح ويعرف ذلك من مقتضيات الأحوال [٢].

ولما علم المسلمون بجهة الغزوة سارعوا إلى الخروج إليها، وحثّ الرسول ﷺ على النفقة قائلاً: «من جهز جيش العسرة فله الجنة» [٣].

واستخلف رسول الله ﷺ على المدينة محمد بن مسلمة الأنصاري، وخلّف علي بن أبي طالب على أهله، فأرجف به المنافقون، وقالوا: ما خلّفه إلا استثقالاً وتخففاً منه، فأخذ علي رضي الله عنه سلاحه، ثم خرج حتى أتى رسول الله ﷺ وهو نازل بالجرف [٤]، فقال: يا نبي الله؛ زعم المنافقون أنك إنما خلفتني لأنك استثقلتني وتخففت مني، فقال: «كذبوا، ولكني خلفتك لما تركت ورائي، فارجع فاخلفني في أهلي وأهلك، أفلا ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى؟ إلا أنه لا نبي بعدي» [٥] فرجع عليٌّ إلى المدينة [٦].

وكان استخلاف علي ـ رضي الله عنه ـ في أهله باعتبار قرابته ومصاهرته، فكان استخلافه في أمر خاص، وهو القيام بشأن أهله، وكان استخلاف محمد بن مسلمة الأنصاري في الغزوة نفسها استخلافاً عاماً، فتعلق بعض الناس بأن استخلاف علي يشير إلى خلافته من بعده، ولا صحة لهذا القول، لأن خلافته كانت في أهله خاصة [٧].

وعندما تجمع المسلمون عند ثنية الوداع بقيادة رسول الله، اختار الأمراء والقادة وعقد الألوية والرايات لهم، فأعطى اللواء الأعظم إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ورايته العظمى إلى الزبير بن العوام رضي الله عنه، ودفع راية الأوس إلى أسيد بن حضير، وراية الخزرج إلى أبي دجانة، وأمر كل بطن من الأنصار أن يتخذ لواءً [٨]، واستعمل رسول الله ﷺ على حراسة تبوك من يوم قدم إلى أن رحل منها عباد بن بشر، فكان رضي الله عنه يطوف في أصحابه على العسكر [٩]، وكان

---

(١) انظر: غزوة تبوك محمد أحمد باشميل (ص ٥٧).
(٢) انظر: القيادة في عهد الرسول ﷺ (ص ٥١٠).
(٣) البخاري، كتاب المناقب، باب مناقب عثمان (٤/ ٢٤٣).
(٤) انظر: زاد المعاد (٣/ ٥٢٩).
(٥) انظر: صحيح السيرة النبوية، (ص ٥٨٩) البخاري، كتاب المغازي رقم (٤٤١٦).
(٦) انظر: زاد المعاد (٣/ ٥٣٠).
(٧) انظر: صور وعِبَر من الجهاد النبوي في المدينة (ص ٤٦٦، ٤٦٧).
(٨) انظر: المغازي (٣/ ٩٩٦)؛ الطبقات الكبرى لابن سعد (٢/ ١٦٦).
(٩) انظر: سبل الهدى والرشاد (٥/ ٦٥٢)؛ الصراع مع الصليبيين (ص ٩٩).

دليل رسول الله في هذه الغزوة علقمة بن الفغواء الخزاعي، فقد كان من أصحاب الخبرة والكفاءة في معرفة طريق تبوك [١].

وقد انفرد الواقدي بالمعلومات عن طريق الجيش وتوزيع الرايات، وهو متروك، ولكنه غزير المعلومات في السيرة، وأخذ مثل هذه المعلومات منه لا يضر [٢].

ويلاحظ الباحث التطور السريع لعدد المقاتلين بشكل عام، ولسلاح الفرسان بشكل خاص: إن الذي يدرس تاريخ الدعوة الإسلامية، ونشوء الدولة الإسلامية ومؤسساتها العامة، وفي مقدمة هذه المؤسسات الجيش الإسلامي القوة الضاربة للدولة، يلاحظ أن هناك تطوراً سريعاً جداً في مجال القوة العسكرية، إذ بلغ عدد المقاتلين في غزوة بدر الكبرى ثلاثمائة وثلاثة عشر مقاتلا، وفي غزوة أحد بلغ سبعمائة مقاتل تقريباً، وفي غزوة الأحزاب ثلاثة آلاف مقاتل، وفي غزوة فتح مكة عشرة آلاف، وفي غزوة حنين بلغ العدد اثني عشر ألف مقاتل، وأخيراً بلغ عدد المقاتلين في تبوك ثلاثين ألف مقاتل أو يزيد.

وإن الدارس يلاحظ هذا التطور السريع اللافت للنظر في مجال سلاح الفرسان، ففي غزوة بدر كان عدد الفرسان فارسين في بعض الروايات، وفي غزوة أحد لم يتجاوز عدد الفرسان ما كان في بدر، ويقفز العدد بعد ست سنوات فقط إلى عشرة آلاف فارس، وهذا يعود إلى انتشار الإسلام في الجزيرة العربية وبخاصة في البادية، لأن أهلها يهتمون باقتناءالخيول وتربيتها أكثر من أبناء المدن [٣].

المبحث الثاني

أحداث في الطريق والوصول إلى تبوك

وبعد تعبئة الجيش وتوزيع المهام والألوية والرايات، توجه الجيش الإسلامي بقيادة رسول الله ﷺ إلى تبوك، ولم ينتظر أحداً قد تأخر، وقد تأخر نفر من المسلمين يظن فيهم خيراً، وكلما ذكر لرسول الله اسم رجل تأخر قال ﷺ: «دعوه إن يك فيه خير فسيلحقه الله تعالى بكم، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه» [٤].

أولاً: قصة أبي ذر الغفاري:

قال ابن إسحاق: ثم مضى رسول الله ﷺ سائراً، فجعل يتخلف عنه الرجل، فيقولون: يا رسول الله تخلف فلان، فيقول: «دعوه، فإن يك فيه خير فسيلحقه الله تعالى بكم، وإن يك غير

(١) انظر: إمتاع الأسماع (١/ ٤٥١)؛ شرح المواهب اللدنية (٣/ ٧٢).
(٢) انظر: السيرة النبوية الصحيحة (٢/ ٥٣٢).
(٣) انظر: الصراع مع الصليبيين (ص ١٠٠).
(٤) انظر: الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء للكلاعي (٢/ ٢٧٦).

ذلك فقد أراحكم الله منه»، حتى قيل: يا رسول الله، قد تخلف أبو ذر، وأبطأ به بعيره.

فقال: «دعوه فإن يك فيه خير فسيلحقه الله بكم، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه»، وتلوّم [١] أبو ذر على بعيره، فلما أبطأ عليه، أخذ متاعه فحمله على ظهره، ثم خرج يتبع أثر رسول الله ﷺ ماشياً، ونزل رسول الله ﷺ في بعض منازله، فنظر ناظر من المسلمين فقال: يا رسول الله، إن هذا الرجل يمشي على الطريق وحده، فقال رسول الله ﷺ: «كن أبا ذر» [٢]. فلما تأمَّله القوم قالوا: يا رسول الله، هو والله أبو ذر، فقال رسول الله ﷺ: «رحم الله أبا ذر، يمشي وحده، ويموت وحده»، ويبعث وحده [٣]، ومضى الزمان وجاء عصر عثمان، ثم حدثت بعض الأمور وسُيِّر أبو ذر إلى الربذة، فلما حضره الموت أوصى امرأته وغلامه: إذا مت فاغسلاني وكفناني ثم احملاني فضعاني على قارعة الطريق فأول ركب يمرون بكم فقولوا: هذا أبو ذر، فلما مات فعلوا به كذلك فطلع ركب فما علموا به حتى كادت ركائبهم تطأ سريره، فإذا ابن مسعود في رهط من أهل الكوفة، فقال: ما هذا؟ فقيل: جنازة أبي ذر، فاستهل ابن مسعود يبكي، فقال: صدق رسول الله ﷺ: «يرحم الله أبا ذر، يمشي وحده، ويموت وحده، ويبعث وحده»، فنزل فوليه بنفسه حتى دفنه [٤]، وفي هذه القصة دروس وعِبَر منها:

١ ـ ما تعرض له أبو ذر الغفاري رضي الله عنه من الصعوبات والمخاطر، التي نجّاه الله منها وقوّاه بالصبر عليها، لقد بذل جهداً كبيراً في المشي على قدميه وهو يحمل متاعه على ظهره، حتى لحق بالنبي ﷺ والمسلمين، لكي ينال شرف الجهاد في سبيل الله [٥].

٢ ـ وفي قوله ﷺ: «رحم الله أبا ذر، يمشي وحده، ويموت وحده، ويبعث وحده» دلالة واضحة وضوح الشمس في رابعة النهار على صدق نبوة الرسول ﷺ، إذ الإخبار بأمور لم تقع ثم تقع بعد الإخبار يدل على معجزة وتكريم من الله لهذا الرسول ﷺ، وهذه الوسيلة من إثبات النبوة كثيرة في السيرة النبوية الشريفة [٦].

٣ ـ كما أن في القصة دلالة على علم ابن مسعود رضي الله عنه وقوة ذاكرته وسرعة استحضاره لما حفظ، حيث تذكر بعد سنوات عديدة حديث رسول الله ﷺ عما سيؤول إليه أمر أبي ذر في آخر حياته رضي الله عنه [٧].

---

(١) تلوم على بعيره: تمهل.
(٢) كن أبا ذر: لفظ الأمر ومعناه الدعاء أرجو الله أن تكون أبا ذر.
(٣) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (٤/ ١٧٨).
(٤) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (٤/ ١٧٨).
(٥) انظر: الصراع مع الصليبيين (ص ١٢٩)، التاريخ الإسلامي للحميدي (٨/ ١١٤).
(٦) انظر: الصراع مع الصليبيين (ص ١٢٩).
(٧) انظر: التاريخ الإسلامي (٨/ ١١٤).

ثانياً: قصة أبي خيثمة:

قال ابن إسحاق: . . . . ثم إن أبا خيثمة رجع بعد أن سار رسول الله ﷺ أياماً إلى أهله في يوم حار، فوجد امرأتين له في عريشين لهما في حائطه [١]، قد رشّت كل واحدة منهما عريشها، وبردت له فيه ماء، وهيأت له فيه طعاماً فلما دخل قام على باب العريش، فنظر إلى امرأتيه وما صنعتا له، فقال: رسول الله ﷺ في الضح [٢]، والريح والحر، وأبو خيثمة في ظل بارد، وطعام مهيأ وامرأة حسناء في ماله مقيم، ما هذا بالنَّصَف! ثم قال: والله لا أدخل عريش واحدة منكما حتى ألحق برسول الله ﷺ، فهيئا لي زاداً، ففعلتا ثم قدم ناضحه [٣] فارتحله، ثم خرج في طلب رسول الله ﷺ حتى أدركه حين نزل تبوك، وقد كان أدرك أبا خيثمة عمير بن وهب الجمحي في الطريق، يطلب رسول الله ﷺ، فترافقا، حتى إذا دنوا من تبوك، قال أبو خيثمة لعمير بن وهب: إن لي ذنباً، فلا عليك أن تخلف عني حتى آتي رسول الله ﷺ، ففعل، حتى إذا دنا من رسول الله ﷺ وهو نازل بتبوك، قال الناس: هذا راكب على الطريق مقبل، فقال رسول الله ﷺ: «كن أبا خيثمة»، فقالوا: يا رسول الله والله أبو خيثمة، فلما أناخ أقبل فسلم على رسول الله ﷺ، فقال له رسول الله ﷺ: «أولى لك يا أبا خيثمة» [٤]. ثم أخبر رسول الله ﷺ الخبر، فقال له رسول الله ﷺ خيراً، ودعا له بالخير [٥].

وقال ابن هشام: وقالو أبو خيثمة في ذلك شعراً، واسمه مالك بن قيس:

لما رأيت الناس في الدين نافقوا ... أتيت التي كانت أعف وأكرما
وبايعت باليمنى يدي لمحمد ... فلم أكتسب إثماً ولم أغش محرما
تركت خضيباً [٦] في العريش وصرمة [٧] ... صفايا [٨] كراماً يُسْرُها قد تحمَّما [٩]
وكنت إذا شك المنافق أسمحت [١٠] ... إلى الدين نفسي شطره حيث يمما [١١].

وفي هذه القصة دروس وعِبَر منها:

١ ـ المسلم صاحب ضمير حي:

فقد رأى أبو خيثمة رضي الله عنه ما أعدت له زوجتاه من الماء البارد، والطعام مع الظل المبرد والإقامة، فتذكر رسول الله ﷺ وما هو فيه من التعرض للشمس والريح والحر، فأبصر وتذكر

---

(١) حائطه: أي بستانه.
(٢) الضح: أي في الشمس.
(٣) ناضحه: أي جمله.
(٤) أجدر بك.
(٥) انظر: البداية والنهاية (٥/٨).
(٦) خضيباً: مخضوبة وهي المرأة.
(٧) صرمة: جماعة النخل.
(٨) صفايا: كثيرة الثمر.
(٩) تحمماً: أخذ في الإرطاب فاسود.
(١٠) أسمحت: انقادت.
(١١) انظر: البداية والنهاية (٥/٨).

وتيقظ ضميره وحاسب نفسه، ثم عزم على الخروج، وخرج وحده يقطع الفيافي والقفار حتى التقى بعمير بن وهب الجمحي، ولعله كان قادماً من مكة، فهذه الصورة تبيِّن لنا مثلاً من سلوك المتقين الذين تمر عليهم لحظات ضعف، يعودون بعدها أقوى إيماناً مما كانوا عليه إذا تذكروا وراجعوا أنفسهم، وفي بيان ذلك يقول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١].

وقد تذكر سريعاً وخرج لعله يدرك ما فاته، وظل يشعر بالذنب حتى وصل إلى النبي ﷺ في تبوك وحصل على رضاه وسروره [١].

٢ ـ معرفة الرسول بأصحابه وبمعادنهم:

إن قول الرسول ﷺ حينما قال له أصحابه: هذا راكب على الطريق مقبل: «كن أبا خيثمة»، فلما اقترب وعرفوه قالوا: يا رسول الله هو والله أبو خيثمة، يدل على معرفة رسول الله ﷺ بأصحابه، وأنه أعرفهم بمعادن رجاله، يعرف المستجيب من غيره، ويعرف التائب النائب إلى ربه إذا زل قدمه بسرعة رجوعه، ومعرفة خصال الرجال ومعادنهم تدل على معرفة واسعة، وخبرة مستوعبة فاحصة نتيجة التعامل والاحتكاك في ميادين الحياة المختلفة، فقد كان يخالط الجميع، يسمع منهم ويسمعهم، ويسيرون معه، ويجاهدون تحت رايته [٢].

٣ ـ حزم أبي خيثمة وصبره ونفاذ عزيمته:

تأمل هذا القرار الذي اتخذه أبو خيثمة رضي الله عنه أن يلحق برسول الله ﷺ وحده، في هذه الرحلة المضنية، في هذه الصحراء قليلة الماء ذات الحر اللافح، لقد اتخذ هذا القرار الحازم ونفّذه بدقة، فدلّ على قوة عزيمته وعنفوان إرادته وعلى جلده وصبره [٣].

٤ ـ عتاب القائد للجندي له أثره:

وصل أبو خيثمة معترفاً بذنبه، يطرح السلام على رسول الله ﷺ فعاتبه ﷺ معاتبة تحمل في طياتها اللوم والتأنيب والتهديد، إذ قال له رسول الله ﷺ: «أولى لك يا أبا خيثمة»، فهي كلمة فيها معنى التهديد، ومعناها دنوت من الهلكة.

إنه مما لا شكّ فيه أن هذا الكلام كان له وقعه في نفس الجندي، إذ أوقفه على حقيقة ما ارتكب من الذنب.

وهذا منهج نبوي كريم في تعليم القادة عدم السكوت على أخطاء الجنود، لأن ذلك

---

(١) انظر: التاريخ الإسلامي (٨/ ١١١، ١١٢).
(٢) انظر: الصراع مع الصليبيين (ص ١٣٣).
(٣) المصدر السابق، (ص ١٣٣، ١٣٤).

يضرهم ويلحق الضرر بغيرهم، بل عليهم أن يسعوا إلى تصويب الخطأ، ومحاسبة مرتكبه وتقويمه، وبذلك يكونون معلمين ومرشدين ومربين [١].

ثالثاً: الوصول إلى تبوك:

عندما وصل النبي ﷺ لم يجد أثراً للحشود الرومانية ولا القبائل العربية، وبالرغم من أن الجيش مكث عشرين ليلة في تبوك، لم تفكر القيادة الرومانية مطلقاً في الدخول مع المسلمين في قتال، حتى القبائل العربية المتنصرة آثرت السكون، أما حكّام المدن في أطراف الشام فقد آثروا الصلح ودفع الجزية، فقد أرسل ملك أيلة للنبي ﷺ هدية وهي بغلة بيضاء وبُرد، فصالحه على الجزية، وأرسل خالد بن الوليد رضي الله عنه على رأس سرية من الفرسان بلغ عددها أربعمائة وعشرين فارساً إلى دومة الجندل، واستطاع خالد بن الوليد أن يأسر أكيدر بن عبد الملك الكندي ـ ملكها ـ وهو في الصيد خارجها [٢]، فصالحه النبي ﷺ على الجزية [٣]، وقد تعجب المسلمون من قباء كان أكيدر يلبسه، فقال الرسول ﷺ: «أتعجبون من هذا؟ فوالذي نفسي بيده لمناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن من هذا» [٤]، وقد ورد أن غنائم خالد من أكيدر كانت ثمانمائة من السبي وألف بعير وأربعمائة درع وأربعمائة رمح [٥]، وقد وصلت إلى تبوك هدية ملك أيلة للنبي ﷺ وهي بغلة بيضاء وبرد، فصالحه على الجزية [٦]، وكتب رسول الله ﷺ معاهدات لكل من أهل جرباء وأذرح [٧]، ولأهل مقنا [٨]، يؤدي بموجبها هؤلاء الناس من نصارى العرب الجزية كل عام، وتخضع لسلطان المسلمين، لقد انفرد رسول الله ﷺ بالإمارات الواقعة في شمال الجزيرة وعقد معها معاهدات، وبذلك أمن حدود الدولة الإسلامية الشمالية [٩]، وبهذه المعاهدات قصّ ﷺ أجنحة الروم، فقد كانت هذه القبائل تابعة للروم ودخلوا في النصرانية، فإقدام من أقدم منها على مصالحة رسول الله والتزامها بالجزية يعتبر قصاً لهذه الأجنحة، وبتراً لحبال تبعيتهم للروم، وتحرير لها من هذه التبعية التي كانت تذلهم وتخضعهم لسلطان الروم، لينالوا من تساقط فتاتهم شيئاً يعيشون به، وخوفاً من ظلمهم لقوتهم الباطشة، وقد وفوا بعهد الصلح والتزموا أداء الجزية، فأعطوها عن

---

(١) انظر: الصراع مع الصليبيين (ص ١٣٤).
(٢) انظر: الإصابة (١/ ٤١٢ ـ ٤١٥) من طريق ابن إسحاق بإسناد حسن.
(٣) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (٤/ ١٨٠).
(٤) المصدر السابق، (٤/ ١٨٠) بإسناد حسن.
(٥) انظر: البداية والنهاية (٥/ ١٧) وفي إسناده ابن لهيعة عن أبي الأسود، وابن لهيعة ضعيف فضلاً عن إرسال عروة.
(٦) انظر: المجتمع المدني للعمري (ص ٢٤١).
(٧) المغازي (٣/ ١٠٣٢).
(٨) انظر: الوثائق السياسية في عهد النبوة والخلافة الراشدة (ص ١١٩ ـ ١٢٤).
(٩) انظر: الصراع مع الصليبيين (ص ٢١٧).

يد وهم صاغرون [١]، وهذه سياسة نبوية حكيمة اختطها رسول الله في بناء الدولة ودعوة الناس لدين الله، فقد استطاع أن يفصل بين المسلمين وبين الروم بإمارات تدين للرسول بالطاعة، وتخضع لحكم المسلمين وأصبحت في زمن الخلفاء الراشدين نقاط ارتكاز سهلت مهمة الفتح الإسلامي في عهدهم، فمنها انطلقت قوات المسلمين إلى الشمال، وعليها ارتكزت لتحقيق هدفها العظيم [٢].

رابعاً: وصايا رسول الله ﷺ بالجيش عند مروره بحجر ثمود:

قال أبو كبشة الأنصاري رضي الله عنه: لما كان في غزوة تبوك تسارع الناس إلى أهل الحجر يدخلون عليهم، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فنادى في الناس: «الصلاة جامعة»، قال: فأتيت رسول الله ﷺ وهو ممسك بعيره، وهو يقول: «ما تدخلون على قوم غضب الله عليهم»، فناداه رجل منهم: نعجب منهم يا رسول الله، قال: «أفلا أنذركم بأعجب من ذلك؟ رجل من أنفسكم ينبئكم بما كان قبلكم وما هو كائن بعدكم، فاستقيموا وسددوا، فإن الله ﷻ لا يعبأ بعذابكم شيئاً، وسيأتي قوم لا يدفعون عن أنفسهم شيئاً» [٣] وقال ابن عمر رضي الله عنهما: إن الناس نزلوا مع رسول الله ﷺ أرض ثمود، الحجر، واستقوا من بئرها، واعتجنوا به، فأمرهم رسول الله ﷺ أن يهريقوا ما استقوا من بئرها، وأن يعلفوا الإبل العجين، وأمرهم أن يستقوا من البئر التي كانت تردها الناقة [٤]، وقال رسول الله ﷺ: «لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم، إلا أن تكونوا باكين حذراً أن يصيبكم مثل ما أصابهم»، ثم زجر [٥] فأسرع حتى خلفها [٦]، وهذا منهج نبوي كريم في توجيه رسول الله ﷺ صحابته إلى الاعتبار بديار ثمود، وأن يتذكروا بها غضب الله على الذين كذبوا رسوله، وأن لا يغفلوا عن مواطن العظة برسومها الدارسة، وأطلالها القديمة، ونهاهم عن الانتفاع بشيء مما في ربوعها، حتى الماء، لكيلا تفوت بذلك العبرة، وتخف الموعظة، بل أمرهم بالبكاء وبالتباكي، تحقيقاً للتأثر بعذاب الله، ولو أنهم مروا بها كما نمر نحن بآثار السابقين، لتعرضوا لسخط الله، فإن الغابرين شهدوا المعجزات ودلائل النبوات، وعاينوا العجائب، لكن قست قلوبهم، فاستهانوا بها، وحق عليهم العذاب، وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون، من نقمة الله وغضبه.

إن الله ـ ﷻ ـ ما قصّ علينا من أنباء الأمم الخالية، إلا لكي نأخذ منها العظة والاعتبار، فإذا شهدنا بأعيننا ديارهم التي نزل فيها سخط المولى ﷻ وعذابه الأليم، وجب أن تكون

---

(١) محمد الصادق عرجون (٤/ ٤٧٩).
(٢) انظر: الصراع مع الصليبيين (ص ٢٢١).
(٣) انظر: الفتح الرباني (٢١/ ١٩٥).
(٤) البخاري، كتاب الأنبياء رقم (٣٣٧٩).
(٥) زجر: أي زجر ناقته ومعناه: ساقها سوقاً شديداً حتى خلفها أي جاوز المساكن.
(٦) البخاري، كتاب الأنبياء رقم (٣٣٨١).

الموعظة أشد، والاعتبار أعمق، والخوف من سخط المولى ـ سبحانه ـ أبلغ. ولهذا تسجى النبي ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ بثوبه لما مرّ بالديار الملعونة المسخوطة، واستحث خطا راحلته [١] وقال لأصحابه: «لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين، حذراً أن يصيبكم ما أصابهم» [٢].

خامساً: وفاة الصحابي عبد الله ذو البجادين [٣] رضي الله عنه:

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: قمت من جوف الليل، وأنا مع رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، قال: فرأيت شعلة من نار في ناحية العسكر، قال: فأتبعتها، أنظر إليها، فإذا رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر، وإذا عبد الله ذو البجادين المزني قد مات، وإذا هم قد حفروا له، ورسول الله ﷺ في حضرته، وأبو بكر وعمر يدليانه إليه، وهو يقول: «أدنيا إليَّ أخاكما، فدلياه إليه، فلما هيّأه بشقه، قال: اللهم إني أمسيت راضياً عنه، فارض عنه». قال (الراوي عن ابن مسعود) قال عبد الله بن مسعود: يا ليتني كنت صاحب الحفرة [٤].

قال ابن هشام: وإنما سمي ذو البجادين، لأنه كان ينازع إلى الإسلام فيمنعه قومه من ذلك ويضيّقون عليه، حتى تركوه في بجاد، ليس عليه غيره فهرب منهم إلى رسول الله ﷺ فلما كان قريباً منه، شقّ بجادة باثنين، فاتزر بواحد واشتمل بالآخر، ثم أتى رسول الله ﷺ فقيل له: ذو البجادين، لذلك [٥].

وفي هذه القصة دروس وحكم وفوائد منها:

١ ـ تكريم النبي ﷺ لجنوده أحياءً وأمواتاً:

فهذا الفعل مع ذي البجادين يدل على حرص النبي ﷺ على تكريم أصحابه حتى في حالة الوفاة، لأنهم قدموا أنفسهم للجهاد في سبيل الله، تاركين وراءهم أعزّ ما يملكون، فكانت تلك الدعاية مظهراً من مظاهر تكريمهم في الدنيا، حيث لم يترك جثثهم تتناوشها الذئاب، وغيرها من دواب الأرض، لكي يكون هذا التكريم من الأسباب التي تدفع غيرهم إلى الاستبسال والإقدام في ميادين الجهاد. ومن الجدير بالذكر أن هذا المبدأ لم يجد من يدعو إلى تطبيقه إلا في العصر الحديث. وبهذا يمكن أن يقال: إن رعاية القائد المسلم لشؤون جنده تعد سبقاً عسكرياً لم تعرفه النظم والدساتير الوضعية إلا بعد قرون طويلة من بزوغ الإسلام [٦].

---

(١) انظر: صور وعِبَر من الجهاد النبوي في المدينة (ص ٤٨٠).
(٢) البخاري، كتاب الأنبياء رقم (٣٣٨١).
(٣) البجاد: الكساء الغليظ الجافي.
(٤) انظر: صحيح السيرة النبوية (ص ٥٩٨).
(٥) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (٤/ ١٨٢).
(٦) انظر: المدخل إلى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الإسلامية (ص ٢٩٩).

فهذه صورة من البر والتكريم فريدة يتيمة، لن تجد في تاريخ الملوك والحكام، من يبر ويتواضع إلى هذا المستوى، إلى حيث يوسد الحاكم فرداً من رعيته بيده في مثواه الأخير، ثم يلتمس له المرضاة من رب العالمين، أما هو فقد أعلن أنه أمسى راضياً عنه [١].

٢ ـ جواز الدفن في الليل والغبطة مشروعة في الخير:

فقد دفن رسول الله ﷺ ذا البجادين ليلاً، والسنّة أن يعجّل في دفن الميت، كما أن الغبطة وهي أن تتمنى حصول الخير لك كما حصل لغيرك من إخوانك، وهذا عكس الحسد، إذ الحسد تمني زوال النعمة عن غيرك، والحسد كله شر كما ترى، أما الغبطة فلا تكون إلا في الخير [٢]، تأمل قول عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ حينما سمع رسول الله ﷺ يقول بحق ذي البجادين: «اللهم إني أمسيت عنه راضياً فارض عنه»، فقال ابن مسعود: يا ليتني كنت صاحب اللحد [٣]، إنها كلمة كل مؤمن آمن بالله واليوم الآخر، ووقف موقفه ذاك فقد عرفوا أين تكون ميادين التنافس [٤].

سادساً: بعض المعجزات التي حدثت في الغزوة:

ظهرت في غزوة تبوك معجزات منها:

١ ـ الله تعالى يرسل السحاب لدعاء نبيه بالسقيا:

لما جاوز النبي ﷺ حجر ثمود، أصبح الناس ولا ماء لهم، فشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ فدعا رسول الله ﷺ ربه، واستسقى لمن معه من المسلمين، فأرسل الله ـ ﷻ ـ سحابة فأمطرت حتى ارتوى الناس، واحتملوا حاجتهم من الماء، فتحدث ابن إسحاق عمن قال لمحمود بن لبيد: هل كان الناس يعرفون النفاق فيهم؟ قال: نعم والله! إن كان الرجل ليعرفه من أخيه، ومن أبيه، ومن عمه، وفي عشيرته، ثم يلبس بعضهم بعضاً على ذلك. ثم قال محمود: لقد أخبرني رجال من قومي، عن رجل من المنافقين معروف نفاقه، كان يسير مع رسول الله ﷺ حيث سار، فلما كان من أمر الناس بالحجر ما كان، ودعا رسول الله ﷺ حين دعا، فأرسل الله السحابة، فأمطرت حتى ارتوى الناس، قالوا: أقبلنا عليه ونقول: ويحك! هل بعد هذا الشيء؟ قال: سحابة مارة [٥].

٢ ـ خبر وفاة رسول الله ﷺ:

لما كان رسول الله ﷺ سائراً في طريقه إلى تبوك، ضلّت ناقته، فخرج أصحابه، في

---

(١) انظر: صور وعِبَر من الجهاد النبوي في المدينة (ص ٤٧٢).
(٢) انظر: الصراع مع الصليبيين (ص ١٦٣، ١٦٤).
(٣) انظر: صحيح السيرة النبوية (ص ٥٩٨).
(٤) انظر: معين السيرة (ص ٤٥٢).
(٥) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (٤/١٧٦)، صور وعِبَر من الجهاد النبوي (ص ٤٧٣).

طلبها، وعند رسول الله ﷺ رجل من أصحابه، يقال له: عُمارة بن حزم وكان عقبياً بدرياً، وهو عم بني عمرو بن حزم، وكان في رحله زيد بن اللصيت القينقاعي، وكان منافقاً.

قال زيد بن اللصيت وهو في رحل عمارة عند رسول الله ﷺ: أليس محمد يزعم أنه نبي، ويخبركم عن السماء، وهو لا يدري أين ناقته؟

فقال رسول الله ﷺ وعُمارة عنده: «إن رجلاً قال: هذا محمد يزعم أنه يخبركم بأمر السماء ولا يدري أين ناقته؟ وإني والله ما أعلم إلا ما علمني الله، وقد دلّني الله عليها، وهي في هذا الوادي، في شعب كذا وكذا، قد حبستها شجرة بزمامها، فانطلقوا حتى تأتوني بها»، فذهبوا فجاؤوا بها، فرجع عمارة بن حزم إلى رحله، فقال: والله لعجب من شيء حدثناه رسول الله ﷺ آنفاً، عن مقالة قائل، أخبره الله عنه بكذا وكذا، للذي قال زيد بن اللصيت. فقال رجل ممن كان في رحل عمارة، ولم يحضر رسول الله ﷺ: زيد، والله، قال هذه المقالة قبل أن تأتي، فأقبل عمارة على زيد، يجأ في عنقه (يطعنه فيه) ويقول: إليَّ عباد الله، إن في رحلي لداهية، وما أشعر، أخرج أي عدو الله [١] من رحلي فلا تصحبني. قال ابن إسحاق: فزعم بعض الناس أن زيداً تاب بعد ذلك، وقال بعض الناس: لم يزل متهماً بشر حتى هلك [٢].

٣ ـ الإخبار بهبوب ريح شديدة والتحذير منها:

أخبر رسول الله ﷺ أصحابه في تبوك بأن ريحاً شديدة ستهب، وأمرهم بأن يحتاطوا لأنفسهم ودوابهم فلا يخرجوا حتى لا تؤذيهم، وليربطوا دوابهم حتى لا تؤذى، وتحقق ما أخبر به رسول الله ﷺ فهبّت الريح الشديدة، وحملت من قام فيها إلى مكان بعيد [٣]، فقد روى مسلم في صحيحه بإسناده إلى أبي حميد قال: وانطلقنا حتى قدمنا تبوك فقال رسول الله ﷺ: «ستهب عليكم الليلة ريح شديدة، فلا يقم فيها أحد منكم، فمن كان له بعير فليشد عقاله»، فهبّت ريح شديدة فقام رجل فحملته الريح حتى ألقته بجبل طيئ [٤].

قال النووي في شرحه على صحيح مسلم معقباً على هذا الحديث: هذا الحديث فيه هذه المعجزة الظاهرة من أخباره ﷺ بالمغيب، وخوف الضرر من القيام وقت الريح [٥].

٤ ـ تكثير ماء عين تبوك والإخبار بما ستكون عليه من خصب:

قال معاذ بن جبل رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «إنكم ستأتون غداً إن شاء الله عين تبوك،

---

(١) انظر: إعلام النبوة للماوردي (ص ١٠٠)؛ السيرة النبوية لابن هشام (٤/ ١٧٧).
(٢) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (٤/ ١٧٧).
(٣) انظر: الصراع مع الصليبيين (ص ١٤١).
(٤) صحيح مسلم بشرح النووي (١٥/ ٤٢)؛ مختصر مسلم رقم (١٥٤٣).
(٥) شرح النووي على صحيح مسلم (١٥/ ٤٢).

وإنكم لن تأتوها حتى يضحى النهار، فمن جاءها منكم فلا يمس من مائها شيئاً حتى آتي»، فجئناها وقد سبقنا إليها رجلان، والعين مثل الشراك [١]، تنبض [٢] بشيء من ماء، فسألهما رسول الله ﷺ : «هل مسستما من مائها شيئاً؟» قالا: نعم، فسبّهما النبي ﷺ وقال لهما ما شاء الله أن يقول، ثم غرفوا بأيديهم من العين قليلاً قليلاً حتى اجتمع في شيء، وغسل رسول الله ﷺ فيه يده ووجهه، ثم أعاده فيها فجرت العين بماء منهمر حتى استقى الناس [٣].

وقد قال رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل: «يوشك يا معاذ إن آلت بك حياة أن ترى ما هاهنا قد ملىء جناناً» [٤]، لقد كانت منطقة تبوك والوادي الذي كانت فيه العين منطقة جرداء لقلة الماء، ولكن الله ـ ﷻ ـ أجرى على يد رسوله ﷺ بركة تكثير هذا الماء حتى أصبح يسيل بغزارة، ولم يكن هذا آتياً لسد حاجة الجيش، بل أخبر رسول الله ﷺ بأنه سيستمر وستكون هناك جنان وبساتين مملوءة بالأشجار المثمرة، ولقد تحقق ما أخبر به الرسول ﷺ بعد فترة قليلة من الزمن، ولا زالت تبوك حتى اليوم تمتاز بجنانها وبساتينها ونخيلها وتمورها، تنطق بصدق نبوة الرسول، وتشهد بأن الرسول لا يتكلم إلا صدقاً ولا يخبر إلا حقاً ولا ينبىء بشيء إلا ويتحقّق [٥].

٥ ـ تكثير الطعام:

قال أبو سعيد الخدري ﷺ : لما كانت غزوة تبوك أصاب الناس مجاعة، فقالوا: يا رسول الله لو أذنت لنا فنحرنا نواضحنا [٦] فأكلنا وأدمنا، فقال لهم رسول الله ﷺ: «افعلوا» فجاء عمر فقال: يا رسول الله إنهم إن فعلوا قل الظهر [٧]، ولكن ادعهم بفضل أزوادهم، ثم ادع لهم بالبركة، لعلّ الله أن يجعل في ذلك، فدعا رسول الله ﷺ بنطع [٨] فبسطه، ثم دعاهم بفضل أزوادهم فجعل الرجل يجيء بكف الذرة، والآخر بكف التمر، والآخر بالكسرة حتى اجتمع على النطع في ذلك شيء يسير، ثم دعا عليه بالبركة، ثم قال لهم: خذوا في أوعيتكم، فأخذوا من أوعيتهم حتى ما تركوا من المعسكر وعاء إلا ملأوه، وأكلوا حتى شبعوا، وفضلت منه فضلة، فقال رسول الله ﷺ: «أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فتحجب عنه الجنة» [٩].

---

(١) الشراك: هو سير النعل ومعناه ماء قليل جداً.
(٢) تنبض: بفتح التاء وكسر الموحدة وتشديد الضاد ومعناه: تسيل.
(٣) صحيح مسلم بشرح النووي (١٥/ ٤١)؛ مختصر مسلم رقم (١٥٣٠).
(٤) صحيح مسلم بشرح النووي (١٥/ ٤١)؛ الفتح الرباني (٢١/ ١٩٦).
(٥) انظر: الصراع مع الصليبيين (ص ١٤٢).
(٦) نواضحنا: جمع ناضح وهي الإبل التي يسقى عليها.
(٧) الظهر: ما يحمل عليه من الإبل.
(٨) النطع: بساط من الجلد.
(٩) الفتح الرباني (٢١/ ١٩٦ ـ ١٩٨).

هذه بعض المعجزات والكرامات التي أظهرها الله على يد رسول الله ﷺ في غزوة تبوك تدل على صدق نبوّته ورسالته، وتدل على رفعة منزلته وتكريمه عند ربه [١].

سابعاً: حديث القرآن الكريم عن مواقف المنافقين أثناء الغزوة:

أ ـ قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما:

قال رجل في غزوة تبوك في مجلس يوماً: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء، لا أرغب بطونا ولا أكذب ألسنة، ولا أجبن عند اللقاء... فقال رجل في المجلس: كذبت ولكنك منافق، لأخبرن رسول الله ﷺ فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، ونزل القرآن. قال عبد الله: فأنا رأيته متعلقاً بحقب [٢] ناقة رسول الله والحجارة تنكبه [٣]، وهو يقول: يا رسول الله إنما كنا نخوض ونلعب، والرسول ﷺ يقول: «أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون؟»

وفي رواية قتادة قال: بينما رسول الله ﷺ في غزوته إلى تبوك وبين يديه أناس من المنافقين، فقالوا: يرجو هذا الرجل أن تفتح له قصور الشام وحصونها؟ هيهات هيهات...!!، فأطلع الله نبيّه على ذلك فقال نبي الله ﷺ: «احبسوا على هؤلاء الركب». فأتاهم فقال: «قلتم كذا قلتم كذا، قالوا: يا نبيَّ الله إنّما كنّا نخوض ونلعب، فأنزل الله فيهم ما تسمعون [٤]. فأنزل الله تعالى: ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ [التوبة: الآيتان ٦٤، ٦٥].

والاستفهام في قوله: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ استفهام إنكاري.

والمعنى: قل يا محمد لهؤلاء موبخاً ومنكراً: ألم تجدوا ما تستهزئون به في مزاحكم ولعبكم ـ كما تزعمون ـ سوى فرائض الله وأحكامه وآياته ورسوله الذي جاء لهدايتكم وإخراجكم من الظلمات إلى النور؟

ثم بيَّن سبحانه أن استهزاءهم هذا أدى بهم إلى الكفر فقال: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ [التوبة: ٦٦].

ومعنى الآية: أي لا تذكروا هذا العذر لدفع هذا الجرم، لأن الإقدام على الكفر لأجل اللعب لا ينبغي أن يكون، فاعتذاركم إقرار بذنبكم فهو كما يقال: عذر أقبح من ذنب [٥].

---

(١) انظر: الصراع مع الصليبيين (ص ١٤١).
(٢) الحقب: حبل يشد به الرحل في بطن البعير.
(٣) الحجارة تنكبه: تصيبه وتؤذيه.
(٤) انظر: الدر المنثور للسيوطي (٤/ ٢٣٠).
(٥) انظر: تفسير المراغي (٤/ ١٥٣).

وقوله: ﴿إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ أي: إن نعف عن بعضكم لتوبتهم وإنابتهم إلى ربهم ـ كمخشن بن حمير ـ نعذب بعضاً آخر لإجرامهم وإصرارهم عليه [١].

ب ـ إيذاء الرسول والمؤمنين ومحاولة اغتيال رسول الله:

وقد نزل في هؤلاء المنافقين قول الله تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ فَإِن يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ وَإِن يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [التوبة: ٧٤].

وقد قال ابن كثير أن الضحاك قال: إن نفراً من المنافقين همّوا بالفتك بالنبي ﷺ، وهو في غزوة تبوك في بعض الليالي في حال السير، وكانوا بضعة عشر رجلاً نزلت فيهم هذه الآية [٢].
وفي رواية الواحدي عن الضحاك: خرج المنافقون مع رسول الله ﷺ إلى تبوك، فكانوا إذا خلا بعضهم إلى بعض سبوا رسول الله ﷺ وأصحابه وطعنوا في الدين، فنقل ما قالوا حذيفة إلى رسول الله ﷺ، فقال لهم رسول الله: «يا أهل النفاق ما هذا الذي بلغني عنكم؟» فحلفوا ما قالوا شيئاً من ذلك، فأنزل الله هذه الآية إكذاباً لهم [٣].

والمعنى الإجمالي للآية: «يحلفون بالله أنهم ما قالوا تلك الكلمة التي نسبت إليهم، والله يكذبهم ويثبت أنهم قد قالوا كلمة الكفر التي رويت عنهم، ولم يذكر القرآن هذه الكلمة لأنه لا ينبغي ذكرها...» [٤].

المبحث الثالث

العودة من تبوك إلى المدينة وحديث القرآن الكريم في المخلفين عن الغزوة وعن مسجد الضرار

عاد النبي ﷺ إلى المدينة بعد أن مكث في تبوك عشرين ليلة [٥]، وقد أمر النبي ﷺ بهدم مسجد الضرار الذي بناه المنافقون، وهو راجع إلى المدينة، ولما اقترب من المدينة خرج الصبيان إلى ثنية الوداع يتلقونه ودخل المدينة، فصلّى في مسجده ركعتين ثم جلس للناس، وجاء

(١) انظر: تفسير المراغي، (٤/ ١٥٣).
(٢) تفسير ابن كثير (٢/ ٣٧٢).
(٣) انظر: أسباب النزول للواحدي، (ص ٢٥١).
(٤) انظر: حديث القرآن الكريم (٢/ ٦٦٥).
(٥) انظر: صحيح السيرة النبوية (ص ٦٠٣).

المخلفون لرسول الله ﷺ يقدمون له الاعتذار، وكانوا أربعة أصناف: فمنهم من له أعذار شرعية وعذرهم الله ز، ومنهم من ليس له أعذار شرعية وتاب الله عليهم، ومنهم من منافقي الأعراب الذين يسكنون حول المدينة، ومنهم من منافقي المدينة.

أولاً: المخلفون الذين لهم أعذار شرعية وعذرهم الله ﷻ:

قال تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [التوبة: ٩١ ـ ٩٢].

بيّنت هذه الآيات الكريمة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك وكان لهم عذر شرعي، بأنه ليس عليهم حرج وليس عليهم إثم في هذا التخلف، ذلك لأن لهم عذراً شرعياً منعهم من الخروج، وفي المراد بالضعفاء: أنهم الزمن والمشايخ الكبار، وقيل الصغار وقيل المجانين، سموا ضعافاً لضعف عقولهم، ذكر القولين الماوردي، والصحيح أنهم الذين يضعفون لزمانهة أو عمى، أو سن، أو ضعف في الجسم. والمرضى: الذين بهم أعلال مانعة من الخروج للقتال [١].

وقوله: ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ﴾.

أي: ليس على الذين لا يجدون نفقة تبلغهم إلى الغزو حرج أي إثم ﴿إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ أي إذا عرفوا الحق، وأحبوا أولياءه وأبغضوا أعداءه [٢].

وقوله: ﴿مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ﴾. قال الطبري: يقول تعالى: ليس على من أحسن فنصح للّه في تخلفه عن رسول الله ورسوله عن الجهاد معه، لعذر يعذر به طريق يتطرق عليه فيعاقب من قبله ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

يقول تعالى: والله ساتر على ذنوب المحسنين، يتغمدها بعفوه لهم عنها، رحيم بهم أن يعاقبهم عليها [٣].

وقال القرطبي: أصل في سقوط التكليف عن العاجز، من جهة القوة أو العجز من جهة المال [٤].

وقوله: ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ... ﴾ معطوف على ما قبله، من عطف الخاص على العام، اعتناءً بشأنهم وجعلهم كأنهم لتميزهم

---

(١) انظر: زاد المسير (٤/ ٤٨٥).
(٢) انظر: تفسير القرطبي (٨/ ٢٢٦).
(٣) انظر: تفسير الطبري (١٠/ ٢١١).
(٤) انظر: تفسير القرطبي (٨/ ٢٢٦).

جنس آخر، مع أنهم مندرجون مع الذين وصفهم الله قبل ذلك ﴿أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ﴾ .

أي: لا حرج ولا إثم على الضعفاء ولا على المرضى، ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون، إذا ما تخلفوا عن الجهاد، وكذلك لا حرج ولا إثم ـ أيضاً ـ على فقراء المؤمنين ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ﴾ على الرواحل التي يركبونها لكي يخرجوا معك إلى هذا السفر الطويل ﴿قُلْتَ﴾ لهم يا محمد [١] ﴿لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ وقوله: ﴿تَوَلَّوا وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ﴾ أي انصرفوا وأعينهم تسيل بالدموع من شدة الحزن، لأنهم لا يجدون المال الذي ينفقونه في مطالب الجهاد، ولا الرواحل التي يركبونها في حال سفرهم إلى تبوك [٢].

ثانياً: المخلفون الذين ليس لهم أعذار شرعية وتاب الله عليهم:

جاءت ثلاث آيات تتحدث عن هؤلاء المخلفين وهي:

١ ـ قوله تعالى: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٠٢] .

ومعنى الآية الكريمة: أن هؤلاء الجماعة تخلفوا عن الغزو لغير عذر مسوغ للتخلف، ثم ندموا على ذلك، ولم يعتذروا بالأعذار الكاذبة، كما اعتذر المنافقون، بل تابوا واعترفوا بالذنب، ورجَوا أن يتوب الله عليهم، والمراد بالعمل الصالح: ما تقدم من إسلامهم، وقيامهم بشرائع الإسلام وخروجهم إلى الجهاد في سائر المواطن، والمراد بالعمل السيء: هو تخلفهم عن هذه الغزوة. وقد ابْتَغُوا هذا العمل السيء عملاً صالحاً وهو الاعتراف به والتوبة عنه.

وأصل الاعتراف الإقرار بالشيء. ومجرد الإقرار لا يكون توبة إلا إذا اقترن به الندم على الماضي، والعزم على تركه في الحال والاستقبال، وقد وقع منهم ما يفيد هذا. ومعنى الخلط أنهم خلطوا كل واحد منهما بالآخر، كقولك: خلطت الماء باللبن واللبن بالماء.

وفي قوله: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ دليل على أنه قد وقع منهم مع الاعتراف ما يفيد التوبة، أو مقدمة التوبة وهي الاعتراف ويقوم مقام التوبة، وحرف الترجي وهو عسى؛ هو في كلام الله سبحانه يفيد تحقق الوقوع، لأن الإطماع من الله سبحانه إيجاب؛ لكونه: أكرم الأكرمين، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أي يغفر الذنوب ويتفضل على عباده [٣].

---

(١) انظر: حديث القرآن الكريم (٢/ ٦٧٢).
(٢) المصدر السابق، (٢/ ٦٧٣).
(٣) انظر: تفسير الشوكاني (٢/ ٣٣٩).

٢ ـ قوله تعالى: ﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ١٠٦].

والمراد بهؤلاء المرجَون كما في الصحيحين هلال بن أمية، وكعب بن مالك، ومرارة بن الربيع... وكانوا قد تخلفوا عن رسول الله ﷺ لأمر ما، مع الهم باللحاق به عليه الصلاة والسلام، فلم يتيسر لهم، ولم يكن تخلفهم عن نفاق، وحاشاهم فقد كانوا من المخلصين، فلما قدم النبي ﷺ وكان ما كان من المتخلفين، قالوا: لا عذر لنا إلا الخطيئة ولم يعتذروا له ﷺ، ولم يفعلوا كما فعل أهل السواري [١] وأمر رسول الله باجتنابهم وشدّد الأمر عليهم كما سنعلمه إن شاء الله تعالى، وقد وقف أمرهم خمسين ليلة لا يدرون ما الله تعالى فاعل بهم [٢].

٣ ـ قال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [التوبة: ١١٨].

والمراد بهؤلاء الثلاثة هم هلال بن أمية، وكعب بن مالك، ومرارة بن الربيع، وفيهم نزلت هذه الآية [٣]، وسوف نتحدث عن هذه القصة بإذن الله بنوع من التفصيل لما فيها من الدروس والعِبَر والحكم.

ثالثاً: المخلفون من منافقي الأعراب الذي يسكنون حول المدينة:

هؤلاء المخلفون من منافقي الأعراب نزل فيهم قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة: ٩٠].

رابعاً: المخلفون من منافقي المدينة:

قال تعالى: ﴿فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓا۟ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [التوبة: ٨١ ـ ٨٣].

هذا وقد لاحظت اختلاف سياسة الرسول ﷺ في معاملته للمنافقين عندما اعتذروا له، عن

---

(١) أي الذين ربطوا أنفسهم في سواري المسجد كأبي لبابة وأصحابه.

(٢) انظر: تفسير الآلوسي (١١/ ١٧).

(٣) انظر: حديث القرآن الكريم (٢/ ٦٧٧).

المسلمين الصادقين، حيث إنه ﷺ عامل المنافقين باللين والصفح، واختار للمسلمين الصادقين الشدة والعقوبة! ولا شك أن الشدة والقسوة في هذا المقام مع المسلمين مظهر للإكرام والتشريف، وهو ما لا يستحقه المنافقون، وكيف يستحق المنافقون أن تنزل آيات في توبتهم - على أي حال - إنهم كفرة، ولن ينشلهم شيء مما يتظاهرون به في الدنيا، من الدرك الأسفل من النار يوم القيامة، وقد أمر الشارع جل جلاله أن ندعهم لما تظاهروا به، ونجري الأحكام الدنيوية حسب ظواهرهم، ففيم التحقيق عن بواطن أعذارهم وحقيقة أقوالهم؟ وفيم معاقبتهم في الدنيا على ما قد يصدر عنهم من كذب؟ ونحن إنما نعطيهم الظاهر فقط من المعاملة والأحكام، كما يُبدون لنا هم أيضاً، الظاهر فقط من أحوالهم وعقائدهم، قال ابن القيم: وهكذا يفعل الرب سبحانه بعباده في عقوبات جرائمهم، فيؤدب عبده المؤمن الذي يحبه وهو كريم عنده، بأدنى زلة وهفوة، فلا يزال مستيقظاً حذراً، وأما من سقط من عين الله وهان عليه، فإنه يخلي بينه وبين معاصيه، وكلما أحدث ذنباً أحدث له نعمة [1].

خامساً: مسجد ضرار:

في أثناء عودة النبي ﷺ إلى المدينة راجعاً من تبوك نزلت عليه الآيات الآتية: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾ [التوبة: الآيتان ١٠٧، ١٠٨].

وسبب نزول هذه الآيات الكريمات: أنه كان بالمدينة قبل مقدم رسول الله ﷺ إليها رجل من الخزرج، يقال له أبو عامر الراهب، وكان قد تنصر في الجاهلية، وقرأ علم أهل الكتاب، وكان فيه عبادة في الجاهلية، وله شرف في الخزرج كبير، فلما قدم رسول الله ﷺ مهاجراً إلى المدينة، واجتمع المسلمون عليه، وصارت للإسلام كلمة عالية وأظهرهم الله يوم بدر، شرق اللعين أبو عامر بريقه، وبارز بالعداوة وظاهر بها، وخرج فارًّا إلى كفار مكة من مشركي قريش، يمالئهم عن حرب رسول الله ﷺ، فاجتمعوا بمن وافقهم في أحياء العرب، فكان من أمر المسلمين ما كان وامتحنهم الله ﷻ، وكانت العاقبة للمتقين، وكان هذا الفاسق قد حفر حفائر فيما بين الصفين، فوقع في إحداهن رسول الله ﷺ وأصيب ذلك اليوم، فجرح وكسرت رُبَاعِيَّته اليمنى والسفلى، وشج رأسه صلوات الله وسلامه عليه. وتقدم أبو عامر في أول المبارزة إلى قومه من الأنصار فخاطبهم، واستمالهم إلى نصره وموافقته، فلما عرفوا كلامه، قالوا: لا أنعم الله بك عيناً، يا فاسق يا عدو الله، ونالوا منه وسبوه، فرجع وهو يقول: والله لقد أصاب قومي بعدي شر، وكان رسول الله ﷺ قد دعاه إلى الله قبل فراره وقرأ عليه القرآن، فأبى أن يسلم

(١) انظر: زاد المعاد (٣/ ٥٧٨).

وتمرّد، فدعا عليه رسول الله ﷺ أن يموت بعيداً طريداً، فنالته هذه الدعوة، وذلك أنه لما فرغ الناس من أحد، ورأى أمر الرسول ﷺ في ارتفاع وظهور ذهب إلى هرقل ملك الروم يستنصره على النبي ﷺ، فوعده ومناه وأقام عنده، وكتب إلى جماعة من قومه الأنصار من أهل النفاق والريب يعدهم ويمنيهم بجيش يقاتل به رسول الله ﷺ ويغلبه، ويرده عما هو فيه، وأمرهم أن يتخذوا له معقلاً يقدم عليهم فيه من يقدم من عنده لأداء كتبه، ويكون مرصداً له إذا قدم عليهم بعد ذلك، فشرعوا في بناء مسجد مجاور لمسجد قباء فبنوه وأحكموه، وفرغوا منه قبل خروج رسول الله ﷺ إلى تبوك، وجاءوا فسألوا رسول الله ﷺ أن يأتي إليهم؛ فيصلّي في مسجدهم ليحتجوا بصلاته فيه على تقريره وإثباته، وذكروا أنهم بنوه للضعفاء منهم، وأهل العلة في الليلة الشاتية فعصمه الله من الصلاة فيه، فقال: «إنا على سفر ولكن إذا رجعنا إن شاء الله»، فلما قفل ﷺ راجعاً إلى المدينة من تبوك، ولم يبق بينه وبينها إلا يوم أو بعض يوم، نزل عليه جبريل بخبر مسجد ضرار وما اعتمده بانوه من الكفر والتفريق بين جماعة المؤمنين في مسجدهم، مسجد قباء الذي أسس من أول يوم على التقوى، فبعث رسول الله ﷺ إلى ذلك المسجد من هدمه قبل مقدمه المدينة [(١)]... هذا ما ذكره ابن كثير في سبب النزول.

أما معنى الآيات الكريمة: أخبر الله سبحانه أن الباعث لهم على بناء المسجد أربعة أمور:

١ ـ الضرار لغيرهم، هو المضارة.

٢ ـ الكفر بالله، والمباهاة لأهل الإسلام، لأنهم أرادوا ببنائه تقوية أهل النفاق.

٣ ـ التفريق بين المؤمنين، لأنهم أرادوا أن لا يحضروا مسجد قباء، فتقل جماعة المسلمين، وفي ذلك من اختلاف الكلمة وبطلان الألفة ما لا يخفى.

٤ ـ الإرصاد لمن حارب الله ورسوله، أي الإعداد لأجل من حارب الله ورسوله [(٢)]...

وقد خيب الله تعالى مسعاهم، وأبطل كيدهم، بأن أمر نبيّه ﷺ بهدمه وإزالته.

وقوله: ﴿وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ﴾ ذم لهم على أيمانهم الفاجرة، وأقوالهم الكاذبة لذلك قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾.

ثم نهى الله ـ تعالى ـ رسوله والمؤمنين عن الصلاة في هذا المسجد نهياً مؤكداً، فقال ـ سبحانه ـ: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾ [التوبة: ١٠٨].

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٢/ ٣٨٨).

(٢) انظر: تفسير الشوكاني (٢/ ٤٠٣).

قال ابن عاشور: وقوله ـ سبحانه ـ: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ المراد بالقيام الصلاة، لأن أولها قيام، ووجه النهي عن الصلاة فيه أن صلاة النبي ﷺ فيه تكسبه يمناً وبركة؛ فلا يرى المسلمون لمسجد قباء مزية عليه، ولذلك أمر رسول الله ﷺ عمار بن ياسر، ومالك بن الدخشم مع بعض أصحابه، وقال لهم: «انطلقوا إلى هذا المسجد الظالم وأهله فاهدموه وحرقوه» ففعلوا [١]. وقوله: ﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ﴾ احتراس مما يستلزمه النهي عن الصلاة فيه من إضاعة عبادة في الوقت الذي رغبوه للصلاة فيه، فأمر الله بأن يصلي في ذلك الوقت الذي دعوه فيه للصلاة في مسجد الضرار أن يصلّي في مسجده، أو مسجد قباء، لئلا يكون لامتناعه من الصلاة من حظوظ الشيطان أن يكون صرفه عن صلاة وقت دعي للصلاة فيه، وهذا أدب نفساني عظيم [٢].

وفيه أيضاً دفع مكيدة المنافقين أن يطعنوا في الرسول ﷺ، بأنه دعي إلى الصلاة في مسجدهم فامتنع، فقوله: ﴿أَحَقُّ﴾ وإن كان اسم تفضيل، فهو مسلوب المفاضلة لأن النهي عن صلاته في مسجد الضرار أزال كونه حقيقاً بصلاته فيه أصلاً.

ولعل نكته الإتيان باسم التفضيل أنه تهكم على المنافقين، لمجازاتهم ظاهراً في دعوتهم النبي ﷺ للصلاة فيه بأنه وإن كان حقيقاً بصلاته بمسجد أسس على التقوى أحق منه، فيعرف من وصفه بأنه ﴿أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ﴾ أن هذا أسس على ضدها [٣].

وقد رأى ابن عاشور أن المراد بالمسجد الذي أسس على التقوى أنه مسجد هذا صفته، لا مسجداً واحداً معيناً، فيكون هذا الوصف كليًّا انحصر في فردين: المسجد النبوي ومسجد قباء [٤].

قوله تعالى: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا﴾ روى ابن ماجه أنه لما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ: «يا معشر الأنصار إن الله قد أثنى عليكم في الطهور فما طهوركم»؟ قالوا: نتوضأ لصلاة ونغتسل من الجنابة ونستنجي بالماء. قال: «فهو ذاك فعليكموه» [٥]، وفي قصة مسجد ضرار دروس وعِبَر وفوائد منها:

١ ـ الكفر ملة واحدة:

وقد تبيّن هذا في موقف أبي عامر الراهب من الإسلام ومن المسلمين، إذ غضب غضباً شديداً، وتألم لهزيمة المشركين في بدر، فأعلن عداءه للرسول وتوجه إلى عاصمة الشرك مكة يحث أهلها على قتال المسلمين وخرج مقاتلاً معهم في أحد، وحاول تفتيت الصف

---

(١) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (٤/ ١٨٤).
(٢) انظر: حديث القرآن الكريم (٢/ ٦٦١).
(٣) انظر: التحرير والتنوير (١١/ ٣١).
(٤) المصدر السابق، (١١/ ٣٢).
(٥) سنن ابن ماجه، كتاب الطهارة، باب الاستنجاء بالماء (١/ ١٢٧).

الإسلامي [١] وصدق الله عندما قال: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ [الأنفال: ٧٣].

٢ ـ محاولة التدليس على المسلمين:

حاول المنافقون أن يضيفوا الشرعية على هذا البناء، وأنه مسجد بنوه لأسباب مقنعة في الظاهر، ولكن لا حقيقة لها في نفوس أصحابها، فقد جاءوا يطلبون من الرسول ﷺ الصلاة في هذا البناء ليكون مسجداً قد باركه رسول الله ﷺ بالصلاة فيه، فإذا حدث هذا فقد استقر قرارهم في تحقيق أهدافهم، وهذا أسلوب ماكر خبيث قد ينطلي على كثير من الناس [٢].

٣ ـ فالله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين:

إن الباحث ليلاحظ مدى العناية الإلهية بالنبي ﷺ، فقد أطلعه الله ﷻ على أسرار هؤلاء المنافقين وما أرادوه من تأسيس هذا المسجد، فلولا إعلام الله لرسوله لما أدرك رسول الله حقيقة نواياهم، ولصلّى في البناء، فأضفى عليه الشرعية وأقبل الناس يصلون فيه لأن رسول الله ﷺ صلّى فيه، وبذلك يحدث الاختلاط بين المنافقين وضعاف المسلمين فينفردون بهم وقد يؤثرون عليهم بالإشاعات [٣].

٤ ـ العلاج النبوي الحاسم:

إن ما قام به الرسول ﷺ من الأمر بهدم مسجد الضرار هو التصرف الأمثل، وهذا منهج نبوي كريم سنّه لقادة الأمة في القضاء على أي عمل يراد منه الإضرار بالمسلمين وتفريق كلمتهم، فالداء العضال لا يعالج بتسكينه والتخفيف منه، وإنما يعالج بحسمه وإزالة آثاره، حتى لا يتجدد ظهوره بصورة أخرى، وإن الثمار العملية، التي لمسها المسلمون على إثر تطبيق الأمر النبوي الحازم لتدلنا على أن هذه المنهجية التي نهجها رسول الله ﷺ مع هذا المكر الخبيث هي الطريقة المثلى لقمع حركة النفاق في المجتمع المسلم، فقد أصبح أمرهم بعد ذلك يتلاشى شيئاً فشيئاً حتى لم يبق منهم بعد لحاق الرسول ﷺ بالرفيق الأعلى إلا عدد قليل، ولم يعرف عنهم بعد تدمير مسجد ضرار أن قاموا بأعمال تخدم الهدف نفسه لعلمهم بنتائج العمل بعد انكشافهم [٤].

٥ ـ ما يلحق بحكم مسجد الضرار:

ذكر المفسرون ما يلحق بمسجد الضرار في الحكم، فهذه بعض أقوالهم:

---

(١) انظر: الصراع مع الصليبيين (ص ١٧٩).
(٢) المصدر السابق (ص ١٨١).
(٣) المصدر نفسه، (ص ١٨١).
(٤) انظر: التاريخ الإسلامي (٨/ ١٣٠).

أ ـ قال الزمخشري: . . . . وقيل كل مسجد بني مباهاة أو رياء وسمعة أو لغرض سوى ابتغاء وجه الله، أو بمال غير طيب فهو لاحق بمسجد الضرار [١].

علّق الدكتور عبد الكريم زيدان على قول الزمخشري فقال: ولكن هل يلحق بمسجد الضرار فيهدم، كما هدم مسجد الضرار الذي بناه المنافقون في المدينة، وأمر النبي ﷺ بهدمه؟ لا أرى ذلك، وإنما يمكن أن يقال إن المسجد الذي لهذه الأعراض يلحق بمسجد الضرار من جهة عدم ابتنائه على التقوى، والإخلاص الكامل للّه تعالى [٢].

ب ـ قال القرطبي في تفسيره: قال علماؤنا: وكل مسجد بني على ضرار أو رياء وسمعة فهو في حكم مسجد الضرار لا تجوز الصلاة فيه [٣].

جـ ـ وقال سيد قطب في تفسيره: هذا المسجد ـ مسجد الضرار ـ الذي اتخذ على عهد رسول الله ﷺ مكيدة للإسلام والمسلمين. . . هذا المسجد ما يزال يتخذ في صور شتى، يتخذ في صورة نشاط ظاهره الإسلام وباطنه لسحق الإسلام أو تشويهه. . . . وتتخذ في صورة أوضاع ترفع لافتة الدين عليها لتتترس وراءها، وهي ترمي هذا الدين، وتتخذ في صورة تشكيلات وتنظيمات وكتب وبحوث تتحدث عن الإسلام، لتخدر القلقين الذين يرون الإسلام يذبح ويمحق، فتخدرهم هذه التشكيلات وتلك الكتب بما توحيه لهم من أن الإسلام بخير، وأن لا داعي للخوف أو القلق عليه [٤].

٦ ـ قاعدة لمعرفة ما يلحق بالمسجد الضرار:

قال الدكتور عبد الكريم زيدان: كل ما يتخذ مما هو في ظاهره مشروع، ويريد متخذوه تحقيق غرض غير مشروع، فهو ملحق بالمسجد الضرار لأنه يحمل روحه وعناصره [٥]، وإذا أردنا الإيجاز قلنا في هذه القاعدة: كل ما كان ظاهره مشروعاً ويريد متخذوه الإضرار بالمؤمنين فهو ملحق بالمسجد الضرار [٦].

وبناء على هذه القاعدة يخرج من نطاق مسجد الضرار وما يلحق به، ما ذكره الإمام ابن القيم من مشاهد الشرك، ومن أماكن المعاصي والفسوق كالحانات وبيوت الخمر والمنكرات ونحو ذلك، لأن هذه المنكرات ظاهرها غير مشروع فلا تلحق به، وإن استحقت الإزالة كمسجد

---

(١) انظر: تفسير الزمخشري (٢/ ٣١٠).
(٢) انظر: المستفاد من قصص القرآن (٢/ ٥٠٤).
(٣) انظر: تفسير القرطبي (٨/ ٢٥٤).
(٤) في ظلال القرآن (٣/ ١٧١٠، ١٧١١).
(٥) انظر: المستفاد من قصص القرآن (٢/ ٥٠٦).
(٦) انظر: المستفاد في قصص القرآن، (٢/ ٥٠٧).

الضرار باعتبارها منكرات ظاهراً وباطناً [١].

٧ ـ مساجد الضرار في بلاد المسلمين:

لا يزال أعداء الإسلام من المنافقين والملحدين والمبشرين والمستعمرين، يقيمون أماكن باسم العبادة وما هي لها، وإنما المراد بها الطعن في الإسلام وتشكيك المسلمين في معتقداتهم وآدابهم، وكذلك يقيمون مدارس باسم الدرس والتعليم ليتوصلوا بها إلى بث سمومهم بين أبناء المسلمين، وصرفهم عن دينهم، وكذلك يقيمون المنتديات باسم الثقافة، والغرض منها خلخلة العقيدة السليمة في القلوب والقيم الخلقية في النفوس، ومستشفيات باسم المحافظة على الصحة والخدمة الإنسانية والغرض منها التأثير على المرضى والضعفاء وصرفهم عن دينهم، وقد اتخذوا من البيئات الجاهلة والفقيرة لا سيما في بلاد إفريقيا ذريعة للتوصل إلى أغراضهم الدنيئة التي لا يقرها عقل ولا شرع ولا قانون [٢].

إن مسجد الضرار ليس حادثة في المجتمع الإسلامي الأول وانقضت، بل هي فكرة باقية، يخطط لها باختيار الأهداف العميقة، وتختار الوسائل الدقيقة لتنفيذها، وخططها تصب في التآمر على الإسلام وأهله بالتشويه وقلب الحقائق والتشكيك، وزرع بذور الفتن لإبعاد الناس عن دينهم وإشغالهم بما يضرهم ويدمر مصيرهم الأخروي [٣].

المبحث الرابع
قصة الثلاثة الذين خُلِّفوا

وردت قصة الثلاثة الذين خلِّفوا على لسان كعب بن مالك ﷺ في كتب السيرة والحديث والتفسير بروايات متقاربة في ألفاظها، ولقيت عناية فائقة في الشرح والتدريس، وكان صحيح البخاري من أكثر الكتب دقة وتفصيلاً لهذه القصة [٤].

ونترك كعب بن مالك ﷺ يحدثنا فيقول: لم أتخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة غزاها إلا في غزوة تبوك، غير أني كنت تخلفت في غزوة بدر، ولم يعاتب أحداً تخلف عنها، إنما خرج رسول الله ﷺ يريد عير قريش حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد، ولقد شهدت مع رسول الله ﷺ ليلة العقبة [٥] حين تواثقنا على الإسلام، وما أحبُّ أن لي بها مشهد بدر، وإن كانت بدر أذكر في الناس منها، كان من خبري أني لم أكن أقوى ولا أيسر حين

---

(١) انظر: المستفاد من قصص القرآن، (٢/٥٠٧).
(٢) انظر: السيرة النبوية لأبي شهبة (٢/٥٠٨).
(٣) انظر: الصراع مع الصليبيين (ص ١٨٢).
(٤) انظر: الصراع مع الصليبيين (ص ١٨٧).
(٥) ليلة العقبة: الليلة التي بايع رسول الله ﷺ الأنصار على الإسلام.

تخلفت عنه في تلك الغزاة. والله ما اجتمعت عندي قبله راحلتان قطُّ حتى جمعتهما في تلك الغزوة، ولم يكن رسول الله ﷺ يريد غزوة إلا ورّى بغيرها، حتى كانت تلك الغزوة غزاها رسول الله ﷺ في حرّ شديد، واستقبل سفراً بعيداً، ومفازاً، وعدواً كثيراً، فجلى للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة غزوهم، فأخبرهم بوجهه الذي يريد، والمسلمون مع رسول الله ﷺ كثير، ولا يجمعهم كتاب حافظ ـ يريد الديوان ـ قال كعب: فما رجل يريد أن يتغيب إلا ظن أنه سيخفى له، ما لم ينزل فيه وحيُ الله.

وغزا رسول الله ﷺ تلك الغزوة حيث طابت الثمار والظلال، وتجهّز رسول الله ﷺ والمسلمون معه، فطفقت أغدو لكي أتجهز معهم، فأرجع ولم أقض شيئاً، فأقول في نفسي: أنا قادرٌ عليه. فلم يزل يتمادى بي حتى اشتد بالناس الجدُّ، فأصبح رسول الله ﷺ والمسلمون معه ولم أقض من جهازي شيئاً. فقلت: أتجهز بعده بيوم أو يومين، ثم ألحقهم، فغدوت بعد أن فصلوا لأتجهز، فرجعت ولم أقض شيئاً. ثم غدوت، ثم رجعت ولم أقض شيئاً. فلم يزل بي حتى أسرعوا وتفارط الغزو [١]، وهممت أن أرتحل فأدركهم وليتني فعلت، فلم يقدر لي ذلك، فكنت إذا خرجت في الناس ـ بعد خروج رسول الله ﷺ ـ فطفت فيهم أحزنني أني لا أرى إلا رجلاً مغموصاً عليه النفاق، أو رجلاً ممن عذر الله من الضعفاء، ولم يذكرني رسول الله ﷺ حتى بلغ تبوك، فقال وهو جالس في القوم بتبوك: «ما فعل كعب؟» فقال رجل من بني سلمة: يا رسول الله حبسه برداه، ونظره في عطفه [٢]. فقال معاذ بن جبل: بئس ما قلت، والله يا رسول الله! ما علمنا عليه إلا خيراً، فسكت رسول الله ﷺ، فبينما هو على ذلك رأى رجلاً مبيضاً [٣] يزول به السراب [٤]، فقال رسول الله ﷺ: «كن أبا خيثمة»، فإذا هو أبو خيثمة الأنصاري، وهو الذي تصدق بصاع التمر حين لمزه [٥] المنافقون، قال كعب بن مالك: فلما بلغني أنه توجه قافلاً [٦] حضرني همي، وطفقت أتذكر الكذب وأقول: بماذا أخرج من سخطه غداً؟ واستعنت على ذلك، بكل ذي رأي من أهلي. فلما قيل لي: إن رسول الله ﷺ قد أظل قادماً [٧] زاح [٨] عني الباطل، وعرفت أني لن أنجو منه بشيء أبداً، فأجمعت صدقه [٩]،

---

(١) تفارط الغزو: تقدم الغزاة وسبقوا وفاتوا.
(٢) والنظر في عطفيه: أي جانبيه وهو إشارة إلى إعجابه بنفسه ولباسه.
(٣) مبيضاً: لابس البياض.
(٤) يزول به السراب: يتحرك وينهض، والسراب ما يظهر للإنسان.
(٥) لمزه المنافقون: عابوه واحتقروه.
(٦) توجه قافلاً: راجعاً.
(٧) أظل قادماً: أقبل ودنا قدومه، كأنه أبقى على ظله.
(٨) زاح: أزال.
(٩) أجمعت صدقه: عزمت على صدقه.

وأصبح رسول الله ﷺ قادماً، وكان إذا قدم من سفر، بدأ بالمسجد فيركع فيه ركعتين، ثم جلس للناس، فلما فعل ذلك جاءه المخلفون فطفقوا يعتذرون إليه، ويحلفون له، وكانوا بضعة وثمانين رجلاً فقبل منهم رسول الله ﷺ علانيتهم، وبايعهم، واستغفر لهم، ووكل سرائرهم إلى الله، فجئت، فلما سلمت، تبسم تبسم المغضب ثم قال: «تعال» فجئت أمشي حتى جلست بين يديه، فقال لي: «ما خلفك؟ ألم تكن قد ابتعت ظهرك؟» قلت: بلى، إني والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا، لرأيت أن سأخرج من سخطه بعذر، ولقد أعطيت جدلاً [١]، ولكني والله! لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني، ليوشكن [٢] الله أن يسخطك عليّ، ولئن حدثتك حديث صدق تجد عليّ فيه [٣] إني لأرجو فيه عقبى الله [٤] لا والله ما كان لي عذر، والله! ما كنت قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك فقال رسول الله ﷺ: «أما هذا فقد صدق، فقم حتى يقضي الله فيك فقمت»، وثار رجال من بني سلمة فاتبعوني. فقالوا لي: والله ما علمناك كنت أذنبت ذنباً قبل هذا. ولقد عجزت أن لا تكون اعتذرت إلى رسول الله ﷺ بما اعتذر به إليه المخلفون. فقد كان كافيك ذنبك، استغفار رسول الله ﷺ لك. قال: فوالله! ما زالوا يؤنبونني [٥] حتى أردت أن أرجع إلى رسول الله ﷺ فأكذّب نفسي.

ثم قلت لهم: هل لقي هذا معي من أحد؟ قالوا: نعم، رجلان، قالا مثل ما قلت، فقيل لهما مثل ما قيل لك. قال: قلت: من هما؟ قالوا: مرارة بن الربيع العمري، وهلال بن أمية الواقفي، فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدراً، فيهما أسوة.

فمضيت حين ذكروهما لي. ونهى رسول الله ﷺ المسلمين عن كلامنا أيُّها الثلاثة من بين من تخلف عنه. فاجتنبنا الناس، وتغيروا لنا حتى تنكرت لي في نفسي الأرض. فما هي التي أعرف. فلبثنا على ذلك خمسين ليلة. فأما صاحباي فاستكانا [٦] وقعدا في بيوتهما يبكيان. وأما أنا فكنت أشب القوم وأجلدهم [٧]، فكنت أخرج، فأشهد الصلاة مع المسلمين وأطوف في الأسواق ولا يكلمني أحد. وآتي رسول الله ﷺ، فأسلّم عليه، وهو في مجلسه بعد الصلاة مع المسلمين فأقول في نفسي: هل حرك شفتيه برد السلام عليّ أم لا؟ ثم أصلي قريباً منه، فأسارقه النظر، فإذا أقبلت على صلاتي أقبل إليَّ، وإذا التفت نحوه أعرض عني حتى إذا طال ذلك عليَّ من جفوة الناس،

(١) أعطيت جدلاً: فصاحة وقوة في الكلام وبراعة.
(٢) ليوشكن: ليسرعن.
(٣) تجد عليّ فيه: تغضب.
(٤) إني لأرجو عقبي الله: يعقبني خيراً ويثيبني عليه.
(٥) يؤنبوني: يلومونني أشد اللوم.
(٦) استكانا: خضعا.
(٧) أشب القوم وأجلدهم: أي أصغرهم سناً وأقواهم.

مشيت حتى تسورت جدار حائط أبي قتادة، وهو ابن عمي، وأحب الناس إليَّ. فسلّمت عليه فوالله ما ردّ عليَّ السلام، فقلت: يا أبا قتادة أنشدك بالله [١] هل تعلمني أحب الله ورسوله؟ فكست. فعدت فنشدته فسكت، فعدت له فنشدته. فقال: الله ورسوله أعلم. ففاضت عيناي، وتوليت حتى تسورت الجدار، فبينا أنا أمشي في سوق المدينة، إذا نبطي من نبط أهل الشام [٢]، ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول: من يدل على كعب بن مالك، فطفق الناس يشيرون له. حتى جاءني دفع إليَّ كتاباً من ملك غسان. فإذا فيه: أما بعد، فإنه قد بلغني أن صاحبك قد جفاك، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة [٣]، فالحق بنا نواسك. فقلت حين قرأتها: وهذا أيضاً من البلاء فتيمّمت [٤] بها التنور، فسجرته [٥] بها، حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين، إذا رسول رسول الله ﷺ يأتيني فقال: إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تعتزل امرأتك، فقلت: أطلقها أم ماذا أفعل؟ قال: لا، بل اعتزلها لا تقربنها. وأرسل إلى صاحبيَّ مثل ذلك.

قال: فقلت لامرأتي: الحقي بأهلك فتكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر، قال: فجاءت امرأة هلال بن أمية رسول الله، فقالت: يا رسول الله! إن هلال بن أمية شيخ ضائع ليس له خادم، فهل تكره أن أخدمه؟ قال: لا ولكن لا يقربنك، قالت: إنه والله! ما به حركة إلى شيء، والله ما زال يبكي منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا. فقال لي بعض أهلي: لو استأذنت رسول الله ﷺ في امرأتك؟ كما أذن لامرأة هلال بن أمية أن تخدمه. قال: فقلت: لا أستأذن فيها رسول الله ﷺ وما يدريني ماذا يقول رسول الله ﷺ إذا استأذنته فيها، وأنا رجل شاب. قال: فلبثت بعد ذلك عشر ليال، حتى كملت لنا خمسون ليلة من حين نَهَى رسول الله ﷺ عن كلامنا، فلمّا صليّت صلاة الفجر صُبْحَ حمسينَ ليلة، وأنا على ظهر بيت من بيوتنا، فبينا أنا جالس على الحال التي ذكر الله ﷻ منا، قد ضاقت عليَّ نفسي، وضاقت عليَّ الأرض بما رحبت، سمعت صوت صارخ أوفى على سَلْعٍ [٦]، يقول بأعلى صوته: يا كعب بن مالك أبشر. قال: فخررت ساجداً، وعرفت أن قد جاء فرج، وآذن [٧] رسول الله ﷺ بتوبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر، وذهب الناس يبشروننا وذهب قبل صاحبيَّ مبشرون، وركض إليّ رجل فرساً، وسعى ساعٍ من أسلم، فأوفى على الجبل، وكان الصوت أسرع من الفرس فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشّرني، نزعت له ثوبيَّ فكسوته إياهما ببشراه، والله! ما أملك غيرهما

---

(١) أنشدك بالله: أسألك بالله.
(٢) نبط أهل الشام: فلاحو العجم.
(٣) مضيعة: يعني أنك لست بأرض يضيع فيها حقك.
(٤) فتياممت: تيممت: قصدت.
(٥) فسجرتها: أحرقتها.
(٦) أوفى على سلع: صعده وارتفع عليه، وسلع جبل بالمدينة معروف.
(٧) فآذن الناس: أي أعلمهم.

يومئذٍ، واستعرت ثوبين فلبستهما، وانطلقت إلى رسول الله ﷺ فيتلقاني الناس فوجاً فوجاً [١]، يهنوني بالتوبة ويقولون: لِتَهنئك توبة الله عليك، قال كعب: حتى دخلت المسجد، فإذا رسول الله ﷺ جالس حوله الناس فقام إليّ طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وهنّاني، والله! ما قام إليّ رجل من المهاجرين غيره. ولا أنساها له، قال كعب: فلما سلمت على رسول الله ﷺ قال رسول الله ﷺ وهو يبرق وجهه من السرور: «أبشر بخير يوم مرّ عليك منذ ولدتك أمك»، قال: قلت: أمن عندك يا رسول الله، أم من عند الله قال: رلا بل من عند الله»، وكان رسول الله ﷺ إذا سُرَّ استنار وجهه كأنه قطعة قمر، وكنا نعرف ذلك منه. قال: فلما جلست بين يديه قلت: يا رسول الله، إن من توبتي أن أنخلع [٢] من مالي صدقة إلى الله وإلى رسول الله ﷺ. فقال رسول الله ﷺ: «أمسك عليك بعض مالك، فهو خير لك»، قلت: فإني أمسك سهمي الذي بخيبر. فقلت: يا رسول الله: إن الله إنما نجاني بالصدق، وإن من توبتي أن لا أحدث إلا صدقاً ما بقيت، فوالله! ما أعلم أحداً من المسلمين أبلاه [٣] الله في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومي هذا، أحسن مما أبلاني. ما تعمدت كذبة منذ قلت لرسول الله ﷺ إلى يومي هذا، وإني لأرجو أن يحفظني الله فيما بقي. قال: فأنزل الله ﷻ: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ حتى بلغ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٧ ـ ١١٩].

قال كعب: والله ما أنعم الله علي من نعمة قط بعد إذ هداني للإسلام، أعظم في نفسي، من صدقي لرسول الله ﷺ أن لا أكون كذبته فأهلك كما هلك الذين كذبوا، فإن الله قال للذين كذبوا الله حين أنزل الوحي شر ما قال لأحد، قال الله: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة: ٩٥، ٩٦]

قال كعب: وكنا تخلفنا أيُّها الثلاثة عن أمر أولئك الذين قبل منهم رسول الله ﷺ حين حلفوا له، فبايعهم واستغفر لهم، وأرجأ رسول الله ﷺ أمرنا حتى قضى الله فيه، فبذلك قال الله ﷻ: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ

(١) فوجاً فوجاً: الفوج الجماعة.
(٢) أنخلع من مالي: أتصدق به.
(٣) أبلاه الله: أنعم عليه.

﴿وَظَنُوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [التوبة: ١١٨] . وليس الذي ذكر الله مما خُلِّفنا عن الغزو، إنما هو تخليفه إيانا وإرجاؤه أمرنا [١]، عمّن حلف له واعتذر إليه فقبل منه [٢].

وفي هذه القصة دروس وعِبَر وفوائد كثيرة نذكر منها:

١ ـ الأسلوب الجميل والبيان الرائع والأدب الرفيع:

لقد تمت صياغة هذا الحديث بأسلوب جميل، وبيان رائع، وأدب رفيع، وإنه ليعتبر مع أمثاله كحديث صلح الحديبية وحديث الإفك نماذج عالية للأدب العربي الرفيع، وليت القائمين على وضع المناهج الدراسية يختاورن هذه الأحاديث وأمثالها لتنمية مدارك الطلاب وتكوين الملكة الأدبية والثروة اللغوية العالية، انظر مثلاً إلى قول كعب في هذا الحديث: فلما قيل إن رسول الله ﷺ قد أظلَّ قادماً زاح عني الباطل وعرفت أني لن أخرج منه أبداً بشيء فيه كذب فأجمعت صدقه [٣].

٢ ـ الصدق سفينة النجاة:

لقد أدرك كعب، وهلال، ومرارة ﷺ خطورة الكذب فعزموا على سلوك طريق الصراحة والصدق، وإن عرّضهم ذلك للتعب والمضايقات، ولكن كان أملهم بالله تعالى كبيراً في أن يقبل توبتهم ثم يعودون إلى الصف الإسلامي أقوى مما كانوا عليه [٤]، وما أجمل ختم رب العالمين توبته على كعب ومن معه بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩] .

٣ ـ الهجر التربوي وأثره في المجتمع:

إن الهجر التربوي له منافعه العظيمة في تربية المجتمع المسلم على الاستقامة، ومنع أفراده من التورط في المخالفات التي تكون إما بترك شيء من الواجبات، أو فعل شيء من المحرمات، لأن من توقع أنه إذا وقع في شيء من ذلك سيكون مهجوراً من جميع أفراد المجتمع فإنه لا يفكر في الإقدام على ذلك.

ولا يغيب عن البال أن تطبيق هذا الحكم يجب أن يتم في الظروف المشابهة لحياة المسلمين في العهد النبوي المدني، حيث توجد الدولة المهيمنة والمجتمع القوي، مع أمن الوقوع في الفتنة لمن طبق عليه هذا الحكم.

---

(١) إرجاؤه أمرنا: تأخيره أمرنا.

(٢) البخاري، كتاب المغازي رقم (٤٤١٨)؛ صحيح السيرة النبوية، (ص ٦١٤).

(٣) انظر: التاريخ الإسلامي (٨/ ١٣٧).

(٤) انظر: التاريخ الإسلامي (٨/ ١٣٨).

وهذا الهجر التربوي يختلف عن الهجر الذي يكون بين المسلمين على أمور الدنيا، فهذا دنيوي وذاك ديني، فالهجر الديني مطلب شرعي يثاب عليه فاعله، أما الهجر الدنيوي فإنه مكروه إلا إذا زاد عن ثلاثة أيام فإنه يكون محرماً [١]، لقول رسول الله ﷺ: «لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام» [٢]، ولقوله ﷺ: «من هجر أخاه سنة فهو كسفك دمه» [٣].

٤ ـ تنفيذ أوامر القيادة في المجتمع المسلم:

استجاب المجتمع المسلم كله لتنفيذ أمر المقاطعة والهجر الذي صدر من القائد الأعلى ﷺ، وامتنعوا جميعاً عن الحديث مع هؤلاء الثلاثة ووصف كعب لنا ذلك فقال: . . . . فاجتنبنا الناس، وتغيروا لنا، حتى تنكرت في نفسي الأرض فما هي التي أعرف، فأما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان، وأما أنا فكنت أشب القوم وأجلدهم، فكنت أخرج فأشهد الصلاة مع المسلمين وأطوف في الأسواق، ولا يكلمني أحد [٤]. . . . وقد أطلق كعب السلام على ابن عمه أبي قتادة فلم يرد عليه السلام وناشده بالله مراراً: هل تعلمني أحب الله ورسوله؟ فسكت، مع أنه من أحب الناس إليه، لقد كان أبو قتادة في هذا الموقف موزَّع الفكر بين إجابة رجل حبيب إليه عزيز عليه، وبين تنفيذ أمر النبي ﷺ بتطبيق الهجر التربوي، ولكن ليس هناك تردد بين الأمرين، فالذي أوحى به إيمان أبي قتادة هو تنفيذ أمر النبي ﷺ فظهر ذلك على سلوكه [٥].

وقد بلغ الالتزام بالأمر النبوي في الهجر التربوي ذروته حين أمر رسول الله ﷺ الثلاثة الذين خلفوا باعتزال زوجاتهم حتى يقضي الله أمراً كان مفعولاً، فالتزم الجميع بذلك، واستأذنت زوج هلال بن أمية ـ وكان شيخاً طاعناً في السن لا يجد من يخدمه ـ فطلبت من الرسول ﷺ أن يأذن لها أن تخدمه فأذن لها النبي ﷺ بذلك شريطة ألا يقربها فالتزمت (رضي الله عنها) [٦].

٥ ـ الولاء التام لله ورسوله:

كان العدو الصليبي يراقب ويرصد ويستغل الفرصة السانحة لكي يمزق الجبهة الداخلية، ويشعل نار الفتنة بين المسلمين ليوهن البنيان ويقوّض الأركان، ولذلك استغل ملك غسان فرصة هجران المسلمين لكعب بن مالك (رضي الله عنه) وعقوبة رسول الله ﷺ له بأن يرسل سفيره لكعب برسالة خاصة منه إليه يغريه فيها، تأمل قوله: قد بلغني أن صاحبك قد جفاك، ولم يجعلك الله بدار

---

(١) انظر: التاريخ الإسلامي، (٨/ ١٣٩).
(٢) مسلم، كتاب البر، رقم (٢٥٦٠، ص ١٩٨٤).
(٣) مسند أحمد (٤/ ٢٢٠).
(٤) انظر: الصراع مع الصليبيين، (ص ١٩٥).
(٥) انظر: التاريخ الإسلامي (٨/ ١٤٠).
(٦) انظر: الصراع مع الصليبيين (ص ١٩٦).

هوان ولا مضيعة، فالحق بنا نواسك [١]، فكان تعليق كعب على هذه الرسالة: وهذا من البلاء أيضاً! قد بلغ مني ما وقعت فيه أن أطمع فيَّ رجال من أهل الشرك! ثم أحرق الرسالة [٢]، وهذا الموقف يدل على شدة ولاء كعب لله ورسوله وقوة إيمانه وعظمة نفسه، فقد أدرك أنها محنة جديدة أقسى من الأولى، فلا يرضيه أن يجيب ملك غسان بالسلب، أو يرمي بالكتاب ويمزقه، ولكنه رمى به في التنور ليصير رماداً، ويصير كل ما به دخاناً يتبدد في الهواء، وخرج الرجل من محنته وهو أقوى ما يكون إيماناً، وأصفى ما يكون روحاً، وأكرم ما يكون أخلاقاً، فيا لعظمة هذه النفوس المؤمنة الكبيرة [٣]، لقد مرّ كعب من فوق هذا الاختبار والابتلاء عزيزاً قوياً بإسلامه، لم يتأثر به ولا انزلق فيه [٤].

٦ ـ توبة الله على العبد قيمة دينية يتطلّع إليها الصادقون:

عندما نزلت الآيات الكريمة التي بيَّنت توبة الله على هؤلاء الثلاثة، كان ذلك اليوم من الأيام العظيمة عند المسلمين، ظهرت فيه الفرحة على وجه رسول الله ﷺ حتى استنار كأنه قطعة قمر، وظهرت الفرحة على وجوه الصحابة ﷺ حتى صاروا يتلقون كعباً وصاحبيه أفواجاً يهنئونهم بما تفضل الله به عليهم من التوبة، وجاء كعب إلى النبي ﷺ ووجهه يبرق من السرور فقال له: «أبشر بخير يوم مرّ عليك منذ ولدتك أمك»، وهذا يعني مقام التوبة وأنها أعظم من الدخول في الإسلام.

إن التوبة تعنى عودة العبد إلى الدخول تحت رضوان الله تعالى الذي هو أعلى هدف ينشده المسلم، وبالتالي فإنه يحظى بحفظه جلّ وعلا في الدنيا وتكريمه في الآخرة، لقد كانت توبة كعب عظيمة عبّر عنها بنزع ثوبيه اللذين لا يملك يومئذٍ غيرهما وإهدائهما لمن بشّره [٥]، وعدم نسيان كعب لطلحة بن عبيد الله مصافحته وتهنئته له [٦]، وكذلك كانت فرحة صاحبيه عظيمة غير أن كعباً لم يذكر في هذا الخبر إلا ما جرى له [٧]، وقد جاء في رواية الواقدي: وكان الذي بشّر هلال بن أمية بتوبته سعيد بن زيد، قال: وخرجت إلى بني واقف فبشّرته فسجد، قال سعيد: فما ظننته يرفع رأسه حتى تخرج نفسه [٨].

٧ ـ تشرع أنواع من العبادات شكراً لله عند النعمة:

كانت فرحة كعب بن مالك بتوبة الله ـ ﷻ ـ عليه، لا تحدها حدود ولا يصورها مثل، وقد تفنّن هو ـ ﷺ ـ في التعبير عنها بجملة من العبادات منها:

---

(١) البخاري، كتاب المغازي رقم (٤٤١٨).
(٢) المغازي (٣/ ١٠٥١، ١٠٥٢).
(٣) انظر: السيرة النبوية لأبي شهبة (٢/ ٥١٧).
(٤) انظر: فقه السيرة للبوطي (ص ٣٠٧).
(٥) انظر: التاريخ الإسلامي (٨/ ١٤١).
(٦) انظر: السيرة النبوية لأبي شهبة (٢/ ٥١٨).
(٧) انظر: التاريخ الإسلامي (٨/ ١٤٢).
(٨) المغازي للواقدي (٣/ ١٠٥٤).

أ ـ سجود الشكر:

حينما سمع كعب البشارة بتوبة الله عليه خرّ ساجداً من فوره شكراً للّه ـ تبارك وتعالى ـ فقد كان من عادة الصحابة ـ ﷺ ـ أن يسجدوا شكراً للّه تعالى كلما تجددت لهم نعمة أو انصرفت عنهم نقمة، وقد تعلموا ذلك من رسول الله ﷺ [١].

ب ـ مكافأة الذي يحمل البشرى:

فقد نزع كعب ثوبيه اللذين كان يلبسهما، كساهما الذي سمع صوته بالبشرى، وما كان يملك وقتئذٍ غيرهما، ثم استعار ثوبين، فلبسهما، ولا شك أن هذا ضرب من الهبة المشروعة، فإن كان المبشّر غنياً كان له هدية، وإن كان فقيراً كان له صدقة، وكلاهما إخراج المال شكراً للّه تعالى، على إنزاله الفرج [٢].

جـ ـ التصدق بالمال:

فقد جعل كعب من توبته أن ينخلع من ماله صدقه للّه تعالى لكن ـ عليه الصلاة والسلام ـ لم يتقبّل منه التصدق بجميع ماله، وقال له: «أمسك عليك بعض مالك، فهو خير لك»، وكأنه يستشيره بذلك، فكانت المشورة بإمساك بعض ماله [٣]، وقد ثار الخلاف الفقهي فيمن نذر التصدق بجميع ماله، والصدقة مستحبة والنذر واجب الوفاء، ولم يذهب كعب إلى النذر وإنما استشار في الصدقة بكل المال، فأشار رسول الله ﷺ عليه بإمساك بعض ماله.

المبحث الخامس

دروس وعِبَر وفوائد

أولاً: معالم من المنهج القرآني في الحديث عن غزوة تبوك:

إن الآيات التي أنزلها الله في كتابه المتعلقة بغزوة العسرة هي أطول ما نزل في قتال المسلمين وخصومهم وقد بدأت باستنهاض الهمم لرد هجوم المسيحية، وإشعارهم بأن الله لا يقبل ذرة تفريط في حماية دينه ونصرة نبيه، وإن التراجع أمام الصعوبات الحائلة دون قتال الروم يعتبر مزلقة إلى الردة والنفاق [٤]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا

(١) انظر: صور وعِبَر من الجهاد النبوي، (ص ٤٩٣).
(٢) المصدر نفسه، (ص ٤٩٣)؛ الصراع مع الصليبيين (ص ٢٠٢).
(٣) انظر: صور وعِبَر من الجهاد النبوي (ص ٤٩٣).
(٤) انظر: فقه السيرة للغزالي (ص ٤٠٤).

تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التوبة: الآيتان ٣٨، ٣٩] .

وعند التأمل في سورة التوبة يلاحظ القارىء أن لها معالم في عرضها لغزوة تبوك منها:

١ ـ عاتب القرآن الكريم من تخلف عتاباً شديداً، وتميزت غزوة تبوك عن سائر الغزوات بأن الله حثّ على الخروج فيها وعاتب من تخلف عنها والآيات الكريمة جاءت بذلك كقوله تعالى: ﴿ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٤١] .

وقد ختمت الغزوات النبوية بهذه الغزوة وقد كان تطبيقاً عملياً لوضع النص القرآني في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ﴾ [التوبة: ١٢٣] ، موضع التنفيذ [١].

٢ ـ ميّز القرآن الكريم هذه الغزوة عن غيرها فسمّاها الله تعالى ساعة العسرة، قال تعالى: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ﴾ ، فقد كانت غزوة عسرة بمعنى الكلمة.

٣ ـ من معالم منهج القرآن في عرضه لهذه الغزوة العظيمة أن الله ردّ على المنافقين لمزهم فقراء الصحابة عندما جاء أحدهم بنصف صاع وتصدق به فقالوا: إن الله لغني عن صدقة هذا، وما فعل هذا إلا رياء، فنزلت الآية: ﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ ۙ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة: ٧٩] .

٤ ـ بيّن القرآن الكريم أن المؤمنين الذين خرجوا مع رسول الله ﷺ وعددهم يزيد عن الثلاثين ألفاً، وقد كتب الله لهم الأجر العظيم [٢]. قال تعالى: ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ﴾ [التوبة: ٩٢] .

ثانياً: تطبيق مبدأ الشورى في هذه الغزوة:

قام رسول الله ﷺ في هذه الغزوة بتطبيق مبدأ الشورى وقبل مشورة الصديق والفاروق في بعض النوازل التي حدثت في الغزوة، ومن هذه النوازل:.

أ ـ قبول مشورة عمر بن الخطاب في ترك نحر الإبل حين أصابت الجيش مجاعة:

أصابت جيش العسرة مجاعة أثناء سيرهم إلى تبوك، فاستأذنوا النبي ﷺ في نحر إبلهم حتى

---

(١) انظر: حديث القرآن الكريم (٢/ ٧٠٢).

(٢) انظر: حديث القرآن الكريم (٢/ ٧٠٣).

يسدّوا جوعتهم، فلما أذن لهم النبي ﷺ في ذلك جاءه عمر رضي الله عنه فأبدى مشورته في هذه المسألة، وهي أن الجند إن فعلوا ذلك نفدت رواحلهم وهم أحوج ما يكونوا إليها في هذا الطريق الطويل، ثم ذكر رضي الله عنه حلاً لهذه المشكلة المعضلة وهو: جمع أزواد القوم ثم الدعاء لهم بالبركة فيها، فعمل ﷺ بهذه المشورة حتى صدر القوم عن بقية من هذا الطعام، بعد أن ملؤوا أوعيتهم منه وأكلوا حتى شبعوا.

ب ـ **قبول مشورة عمر** رضي الله عنه في ترك اجتياز حدود الشام والعودة إلى المدينة:

عندما وصل النبي ﷺ إلى منطقة تبوك وجد أن الروم فرّوا خوفاً من جيش المسلمين، فاستشار أصحابه في اجتياز حدود الشام فأشار عليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه بأن يرجع بالجيش إلى المدينة وعلّل رأيه بقوله: إن للروم جموعاً كثيرة، وليس بها أحد من أهل الإسلام، ولقد كانت مشورة مباركة فإن القتال داخل بلاد الرومان يعد أمراً صعباً، إذ أنه يتطلب تكتيكاً خاصاً، لأن الحرب في الصحراء تختلف في طبيعتها عن الحرب في المدن، بالإضافة إلى أن عدد الرومان في الشام يقرب من مائتين وخمسين ألفاً، ولا شك في أن تجمع هذا العدد الكبير في تحصّنه داخل المدن يعرّض جيش المسلمين للخطر [1].

إن تطبيق الشورى في حياة الأمة في كافة شؤونها السياسية والعسكرية والاجتماعية... إلخ، منهج تربوي كريم سار عليه الحبيب المصطفى ﷺ في حياته.

ثالثاً: التدريب العملي العنيف:

كان خروج الرسول ﷺ بأصحابه إلى تبوك فيه فوائد كثيرة منها: تدريبهم تدريباً عنيفاً، فقطع بهم ﷺ مسافة طويلة في ظروف جويّة صعبة، حيث كانت حرارة الصيف اللاّهب، بالإضافة إلى الظروف المعيشية التي كانوا يعانون منها، فقد كان هناك قلة في الماء حتى كادوا يهلكون من شدة العطش، وأيضاً كان هناك قلة في الزاد والظهر، ولا شك في أن هذه الأمور تعد تدريباً عنيفاً لا يتحمله إلا الأقوياء من الرجال، وفي هذا الدرس يقول الأستاذ محمود شيت خطاب: تعمل الجيوش الحديثة على تدريب جنودها تدريباً عنيفاً كاجتياز مواقع وعراقيل صعبة جداً، وقطع مسافات طويلة في ظروف جوية مختلفة، وحرمان من الطعام والماء بعض الوقت، وذلك لإعداد هؤلاء الجنود لتحمل أصعب المواقف المحتمل مصادفتها في الحرب، لقد تحمل جيش العسرة مشقات لا تقل صعوبة عن مشقات هذا التدريب العنيف، إن لم تكن أصعب منها بكثير، لقد تركوا المدينة في موسم نضج ثمارها وقطعوا مسافات طويلة شاقة في صحراء الجزيرة العربية صيفاً وتحملوا الجوع والعطش مدة طويلة.

إن غزوة تبوك تدريب عنيف للمسلمين، كان غرض الرسول ﷺ منه إعدادهم لتحمل رسالة

(١) انظر: غزوة تبوك، باشميل (ص ١٧٦، ١٧٧).

حماية حرية نشر الإسلام خارج شبه الجزيرة العربية، . . . . فقد كانت هذه الغزوة آخر غزوات الرسول ﷺ، فلا بدّ من الاطمئنان إلى كفاءة جنوده قبل أن يلحق بالرفيق الأعلى [١]، وقد ساعد هذا التدريب العملي الصحابة في عصر الخلفاء، فقاموا بفتح بلاد الشام وبلاد الفرس بقوة إيمانهم وثقتهم بخالقهم وساعدهم على ذلك لياقتهم البدنية العالية، ومعرفتهم العملية لاستخدام السيوف والرماح، وأنواع الأسلحة في زمانهم.

رابعاً: أهم نتائج الغزوة:

أ ـ يمكن للباحث أن يلاحظ أهم نتائج هذه الغزوة وهي:

١ ـ إسقاط هيبة الروم من نفوس العرب جميعاً؛ مسلمهم وكافرهم على السواء، لأن قوة الروم كانت في حساب العرب لا تُقاوم ولا تُغلب، ومن ثم فقد فزعوا من ذكر الروم وغزوهم، ولعل الهزيمة التي لحقت بالمسلمين في غزوة (مؤتة) كانت مؤكدة على ما ترسخ في ذهن العربي في جاهليته من أن الروم قوة لا تقهر، فكان لا بدّ من هذا النفير العام لإزاحة هذه الهزيمة النفسية من نفوس العرب.

٢ ـ إظهار قوة الدولة الإسلامية كقوة وحيدة في المنطقة قادرة على تحدي القوى العظمى عالمياً ـ حينذاك ـ ليس بدافع عصبي أو عرقي، أو تحقيق أطماع زعامات معاصرة، وإنما بدافع تحريري حيث تدعو الإنسانية إلى تحرير نفسها من عبودية العباد إلى عبودية رب العباد، ولقد حققت هذه الغزوة الغرض المرجو منها بالرغم من عدم الاشتباك الحربي مع الروم الذين آثروا الفرار شمالاً فحققوا انتصاراً للمسلمين دون قتال، حيث أخلوا مواقعهم للدولة الإسلامية، وترتب على ذلك خضوع النصرانية التي كانت تمت بصلة الولاء لدولة الروم مثل إمارة دومة الجندل، وإمارة أيلة (مدينة العقبة حالياً على خليج العقبة) وكتب رسول الله ﷺ بينه وبينهم كتاباً يحدد ما لهم وما عليهم، [٢] وأصبحت القبائل العربية الشامية الأخرى التي لم تخضع للسيطرة الإسلامية في تبوك تتعرض بشدة للتأثير الإسلامي، وبدأ الكثير من هذه القبائل يراجع موقفه ويقارن بين جدوى الاستمرار في الولاء للدولة البيزنطية أو تحويل هذا الولاء إلى الدولة الإسلامية الناشئة، ويعد ما حدث في تبوك نقطة البداية العملية للفتح الإسلامي لبلاد الشام [٣]، وإن كانت هناك محاولات قبلها ولكنها لم تكن في قوة التأثير كغزوة تبوك، فقد كانت هذه الغزوة بمثابة المؤشر لبداية عمليات متواصلة لفتح البلدان والتي واصلها خلفاء رسول الله ﷺ من بعده، ومما يؤكد هذا أن الرسول ﷺ قبل موته جهّز جيشاً بقيادة

---

(١) انظر: الرسول القائد (ص ٢٨١، ٢٨٢).

(٢) انظر: دراسات في عهد النبوة والخلافة الراشدة للشجاع (ص ٢٠٩).

(٣) انظر: المسلمون والروم في عصر النبوة، عبد الرحمن أحمد (ص ١٠٢).

أسامة بن زيد بن حارثة ليكون رأس حربة موجَّهاً صوب الروم، وطليعة لجيش الفتح، ضم هذا الجيش جُلَّ صحابة رسول الله، ولكنه لم يقم بمهمته إلا بعد وفاته ﷺ، ومع هذا فقد حقق الهدف المطلوب منه كما سيأتي [١] بإذن الله عند الحديث في سيرة الصديق رضي الله عنه.

لقد وضع رسول الله ﷺ الأسس الأولى والخطوات المثلى لفتح بلاد الشام والفتوحات الإسلامية.

٣ - توحيد الجزيرة العربية تحت حكم الرسول:.

تأثر موقف القبائل العربية من الرسول ﷺ والدعوة الإسلامية بمؤثرات متداخلة كفتح مكة، وخيبر وغزوة تبوك، فبادر كل قوم بإسلامهم بعدما امتد سلطان المسلمين إلى خطوط التماس مع الروم ثم مصالحة نجران في الأطراف الجنوبية على أن يدفعوا الجزية، فلم يعد أمام القبائل العربية إلا المبادرة الشاملة إلى اعتناق الإسلام والالتحاق بركب النبوة بالسمع والطاعة، ونظراً لكثرة وفود القبائل العربية التي قدمت إلى المدينة من أنحاء الجزيرة العربية بعد عودة النبي ﷺ من غزوة تبوك لتعلن إسلامها هي ومن وراءها فقد سُمِّي العام التاسع للهجرة في المصادر الإسلامية بعام الوفود [٢].

وبهذه الغزوة المباركة ينتهي الحديث عن غزوات النبي ﷺ التي قادها بنفسه، فقد كانت حياته المباركة غنية بالدروس والعِبَر التي تتربى عليها أمته في أجيالها المقبلة [٣] ومليئة بالدروس والعِبَر في تربية الأمة وإقامة الدولة التي تحكم بشرع الله.

* * *

المبحث السادس

أهم الأحداث ما بين غزوة تبوك وحجة الوداع

أولاً: وفد ثقيف وإسلامهم:

لما انصرف الرسول ﷺ عن الطائف اتبع أثره عروة بن مسعود الثقفي حتى أدركه قبل أن يصل إلى المدينة فأسلم، ورجع إلى قومه، فدعاهم إلى الإسلام، فرموه بالنبل، فأصابه سهم فقتله ثم إنهم رأوا أنه لا طاقة لهم بحرب من حولهم من العرب الذين أسلموا، فأجمعوا على أن يرسلوا رجالاً إلى رسول الله ﷺ، فقدم عليه ستة منهم في رمضان بعد رجوعه من تبوك سنة تسع [٤].

---

(١) انظر: دراسات في عهد النبوة، للشجاع (ص ٢٠٩).
(٢) انظر: نضرة النعيم (١/ ٣٩٥، ٣٩٦).
(٣) انظر: محمد رسول الله، الصادق عرجون (٤/ ٤٦٠).
(٤) انظر: رسالة الأنبياء، عمر أحمد عمر (ص ١٩٩).

وكان الوفد يتكون من ستة من كبار بني مالك والأحلاف، ثلاثة لكل منهما وعلى رأسهم جميعاً عبد ياليل بن عمرو [١]، وتكوين هذا الوفد على هذا النحو يدل على فكر سياسي عميق؛ ذلك لأن ثقيف تأمل في أن يتدخل المهاجرون من بني أمية للتوسط في إقرار الصلح مع الرسول ﷺ بسبب علاقة بني أمية التاريخية بالأحلاف [٢].

كان الصحابة يعرفون اهتمام الرسول ﷺ بإسلام ثقيف، ولذلك ما أن ظهر وفد ثقيف قرب المدينة، حتى تنافس كل من أبي بكر والمغيرة على أن يكون هو البشير بقدوم الوفد للرسول ﷺ، وتنازل المغيرة لأبي بكر [٣].

واستقبل الرسول الوفد راضياً وبنى لهم خياماً لكي يسمعوا القرآن ويروا الناس إذا صلوا، وكانت ضيافتهم على رسول الله ﷺ، وكانوا يفدون على رسول الله ﷺ كل يوم، ويخلفون عثمان بن أبي العاص على رحالهم، فكان عثمان، كلما رجعوا وقالوا بالهاجرة، عمد إلى رسول الله ﷺ فسأله عن الدِّين واستقرأه القرآن، حتى فقه في الدين وعلم، وكان إذا وجد رسول الله ﷺ نائماً عمد إلى أبي بكر، وكان يكتم ذلك من أصحابه، فأعجب ذلك رسول الله ﷺ وعجب منه وأحبه [٤].

فمكث الوفد أياماً يختلفون إلى النبي ﷺ، والنبي ﷺ يدعوهم إلى الإسلام، فقال له عبد ياليل: هل أنت مقاضينا حتى نرجع إلى أهلنا وقومنا؟ فقال رسول الله ﷺ: «نعم إن أنتم أقررتم بالإسلام قاضيتكم وإلا فلا قضيَّة ولا صلح بيني وبينكم».

قال عبد ياليل: أرأيت الزنى؟ فإنا قوم عُزَّاب بغُرْب [٥]، لا بد لنا منه، ولا يصبر أحدنا على العُزْبة، قال: «هو مما حرّم الله على المسلمين» يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [الإسرَاء: ٣٢].

قال: أرأيت الربا؟ قال: «الربا حرام!» قال: فإن أموالنا كلها ربا قال: «لكم رؤوس أموالكم»، يقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [البَقَرَة: ٢٧٨].

قال: أفرأيت الخمر؟ فإنها عصيرُ أعنابنا، لا بد لنا منها.

قال: «فإنّ الله قد حرمها!» ثم تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ

---

(١) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (٤/ ١٩٣).
(٢) انظر: رجال الإدارة في الدولة الإسلامية د. حسين محمد (ص ٧٦).
(٣) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (٤/ ١٩٣).
(٤) انظر: تاريخ الإسلام للذهبي، المغازي (ص ٦٧٠).
(٥) أي نذهب إلى بلاد بعيدة.

﴿وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠].

فارتفع القوم، وخلا بعضهم ببعض، فقال عبد ياليل: ويحكم! نرجع إلى قومنا بتحريم هذه الخصال الثلاث! والله، والله لا تصبر ثقيف عن الخمر أبداً، ولا عن الزنا أبداً.

قال سفيان بن عبد الله: أيها الرجل، إن يرد الله بها خيراً تصبر عنها! قد كان هؤلاء الذين معه على مثل هذا، فصبروا وتركوا ما كانوا عليه، مع أنا نخاف هذا الرجل، قد أوطأ الأرض غلبة ونحن في حصن في ناحية من الأرض والإسلام حولنا فاش. والله لو قام على حصننا شهراً لمتنا جوعاً، وما أرى إلا الإسلام، وأنا أخاف يوماً مثل يوم مكة.

وكان خالد بن سعيد بن العاص هو الذي يمشي بينهم وبين رسول الله ﷺ حتى كتبوا الكتاب، كان خالد هو الذي كتبه، وكان رسول الله ﷺ يرسل إليهم الطعام، فلا يأكلون منه شيئاً حتى يأكل منه رسول الله ﷺ حتى أسلموا.

قالوا: أرأيت الرَّبَّة، ما ترى فيها؟ قال: «هدمها».

قالوا: هيهات! لو تعلم الرَّبَّة أنا أوضعنا هدمها [١] قتلت أهلنا. قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ويحك يا عبد ياليل! إن الرَّبَّة حجر لا يدري من عبده ممن لا يعبده. قال عبد ياليل: إنا لم نأتك يا عمر. فأسلموا، وكمل الصلح، وكتب ذلك الكتاب خالد بن سعيد، فلما كمُل الصُلح كلَّموا النبي ﷺ يدع الرَّبَّة ثلاث سنين لا يهدمها، فأبى قالوا سنتين! فأبى. قالوا: سنة! فأبى. قالوا: شهراً واحداً! فأبى أن يوقِّت لهم وقتاً وإنما يريدون بترك الرَّبَّة لما يخافون من سفهائهم والنساء والصبيان، وكرهوا أن يُروِّعوا قومهم بهدمها، فسألوا النبي ﷺ أن يعفيهم من هدمها [٢]، فوافق رسول الله ﷺ على طلبهم ذلك. وسألوا النبي ﷺ أن يعفيهم من الصلاة، فقال رسول الله ﷺ: «لا خير في دين لا صلاة فيه» [٣].

لقد طلب وفد ثقيف أن يعفيهم رسول الله ﷺ من بعض الفرائض، وأن يحلل لهم بعض المحرمات إلا أنهم فشلوا في طلباتهم وخضعوا للأمر الواقع [٤].

وقد أكرم رسول الله ﷺ وفادتهم وأحسن ضيافتهم في قدومهم وإقامتهم وعند سفرهم، وأمَّر ﷺ عثمان بن أبي العاص على الطائف، فقد كان أحرصهم على تعلم القرآن والتفقه في الدين، وكان أصغرهم سناً [٥]. ولقد تأثر الوفد من معاملة النبي ﷺ ومن اختلاطهم بالمسلمين

---

(١) أي أسرعنا السير في السفر.
(٢) انظر: المغازي للواقدي (٣/ ٩٦٨).
(٣) انظر: التاريخ الإسلامي للحميدي (٨/ ٥٠)؛ المغازي للواقدي (٣/ ٩٦٨).
(٤) انظر: المجتمع المدني في عهد النبوة (ص ٢٢١ ـ ٢٢٣).
(٥) انظر: السيرة النبوية الصحيحة (٢/ ٥١٩).

حتى أنهم صاموا ما بقي عليهم من شهر ومكثوا في المدينة خمسة عشر يوماً ثم رجعوا إلى الطائف [١]، وبعد رجوعهم جهّز رسول الله ﷺ سرية بقيادة خالد بن الوليد ﷺ، ومشاركة المغيرة بن شعبة ﷺ [٢]، وأبي سفيان بن حرب ﷺ [٣] وبعثهم في أثر الوفد [٤].

وبينما نجحت مساعي الوفد في إقناع ثقيف بالدخول في الإسلام وأخبروهم بمصير اللات، وإذا بالسرية قد وصلت إلى الطائف ودخل المغيرة بن شعبة في بضعة عشر رجلاً، يهدمون الربة [٥]، وكان ذلك تحت حراسة مشددة من قومه بني معتب الذين قاموا دونه خشية أن يرمى أو يصاب كما أصيب عروة بن مسعود [٦]، وخرجت ثقيف عن بكرة أبيها؛ رجالها ونساؤها وصبيانها حتى الأبكار من خدورهن، وكانوا لقرب عهدهم بالشرك لا ترى عامة ثقيف أنها مهدومة ويظنون أنها ممتنعة [٧].

وكان المغيرة رجلاً فيه دعابة وظرف فقال لأصحابه: والله لأضحكنكم من ثقيف، فضرب بالفأس ثم سقط يركض، فارتج أهل الطائف بصيحة واحدة، وقالوا: أبعد الله المغيرة فقد قتلته الربة، وفرحوا حين رأوه ساقطاً [٨]. وقالوا مخاطبين أفراد السرية: من شاء منكم فليقترب وليجتهد على هدمها فوالله لا تستطاع أبداً، فوثب المغيرة بن شعبة، وقال: قبحكم الله يا معشر ثقيف إنما هي لكاع [٩] حجارة ومدر، فاقبلوا عافية الله واعبدوه [١٠].

أكمل المغيرة بن شعبة ﷺ ومن معه هدم الطاغية حتى سووها بالأرض، وكان سادنها واقفاً على أحر من الجمر ينتظر نقمة الرَّبَّة وغضبها على هؤلاء العصاة [١١]، فما أن وصلوا إلى أساسها حتى صاح قائلاً: سترون إذا انتهى أساسها يغضب الأساس غضباً يخسف بهم، [١٢] فلما سمع المغيرة ﷺ بذلك السخف قال لقائد السرية: دعني أحفر أساسها، فحفره حتى أخرجوا ترابها وانتزعوا حليتها، وأخذوا ثيابها، فبهتت ثقيف [١٣]. وأدركت الواقع الذي كانت تحجبه غشاوة على أعينهم [١٤].

وأقبل الوفد حتى دخلوا على رسول الله ﷺ بحليتها وكسوتها، فقسمه رسول الله ﷺ من يومه، وحمدوا الله على نصرة نبيه وإعزازه دينه [١٥].

---

(١) انظر: السيرة النبوية الصحيحة، (٢/ ٥١٩، ٥٢٠).
(٢) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (٤/ ١٩٥).
(٣) المصدر نفسه، (٤/ ١٩٥).
(٤) انظر: دلائل النبوة للبيهقي (٥/ ٣٠٣، ٣٠٤).
(٥) المغازي (٣/ ٦٧١).
(٦) انظر: دلائل النبوة (٥/ ٣٠٤).
(٧) انظر: السرايا والبعوث (ص ٣٠٠).
(٨) المصدر نفسه، (ص ٣٠٠).
(٩) لكاع عند العرب: العبد ثم استعمل في الحمق والذم.
(١٠) دلائل النبوة (٥/ ٣٠٣).
(١١) انظر: السرايا والبعوث (ص ٣٠٠).
(١٢) انظر: المغازي (٣/ ٩٧٢).
(١٣) انظر: دلائل النبوة (٥/ ٣٠٣).
(١٤) انظر: السرايا والبعوث (ص ٣٠١).
(١٥) انظر: تاريخ ابن شيبة (٢/ ٥٠٧) نقلاً عن السرايا والبعوث (ص ٣٠١).

وتمّ القضاء على ثاني أكبر طواغيت الشرك في الجزيرة العربية، وحل محلها بيت من بيوت الله ﷻ، يوحّد فيه الربُّ الذي لا إله إلا هو، وذلك بتوجيه كريم من رسول الله ﷺ إلى عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه [١] عامله على الطائف حيث أمره «بأن يجعل مسجد الطائف حيث كان طاغيتهم» [٢].

ثانياً: وفاة زعيم المنافقين (عبد الله ابن سلول):

مرض عبد الله بن أبي ابن سلول، رأس المنافقين، في ليال بقين من شوال ومات في ذي القعدة من السنة التاسعة [٣].

قال أسامة بن زيد: دخلت مع رسول الله ﷺ على عبد الله بن أبي في مرضه نعوده، فقال له النبي ﷺ: «قد كنت أنهاك عن حب يهود»، فقال عبد الله: فقد أبغضهم سعد بن زرارة فمات [٤].

ولمَّا توفي عبد الله بن أبي جاء ابنه عبد الله بن عبد الله إلى رسول الله ﷺ، فسأله أن يعطيه قميصه يكفّن فيه أباه، فأعطاه، ثم سأله أن يصلي عليه، فقام رسول الله ﷺ ليصلي عليه، فقام عمر، فأخذ بثوب رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، تصلي عليه، وقد نهاك ربك أن تصلي عليه؟ فقال رسول الله ﷺ: «إنما خيّرني فقال: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة: ٨٠] . وسأزيده على سبعين»، قال: إنه منافق، قال: فصلّى عليه رسول الله ﷺ، فأنزل الله ﷻ آية: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾ [التوبة: ٨٤] [٥].

وإنما صلى عليه رسول الله ﷺ إجراء له على حكم الظاهر وهو الإسلام، ولما فيه من إكرام ولده عبد الله ـ وكان من خيار الصحابة وفضلائهم ـ وهو الذي عرض على النبي ﷺ أن يقتل أباه لما قال مقالته يوم غزوة بني المصطلق كما بينا، ولما فيه من مصلحة شرعية، وهو تأليف قلوب قومه وتابعيه، فقد كان يدين له بالولاء فئة كبيرة من المنافقين، فعسى أن يتأثروا ويرجعوا عن نفاقهم ويعتبروا ويخلصوا للّه ولرسوله، ولو لم يجب ابنه وترك الصلاة عليه قبل ورود النهي الصريح لكان سببه وعاراً على ابنه وقومه، فالرسول الكريم اتبع أحسن الأمرين في السياسة إلى أن نُهي فانتهى [٦].

---

(١) انظر: السرايا والبعوث (ص ٣٠١).
(٢) انظر: دلائل النبوة (٥/ ٢٩٩ ـ ٣٠٣)؛ المغازي (٣/ ٩٧٠ ـ ٩٧٢).
(٣) انظر: تاريخ الإسلام للذهبي، المغازي، (ص ٦٥٩).
(٤) أبو داود، كتاب الجنائز، باب في العيادة رقم (٣٠٩٤).
(٥) البخاري، كتاب تفسير القرآن رقم (٤٦٧٠).
(٦) انظر: السيرة النبوية لأبي شهبة (٢/ ٥٣٣، ٥٣٤).

وإما إعطاؤه ﷺ القميص فلأن الغنى به بخل بالكرم، وقد كان من خلق رسول الله ﷺ أن لا يرد طالب حاجة قط، على أنه كان مكافأة له على إعطائه العباس عم الرسول قميصه لما جيء به أسيراً يوم بدر، وكان من خلق رسول الله ﷺ وآل بيته رد الجميل بخير منه [١].

وبموت عبد الله ابن سلول تراجعت حركة النفاق في المدينة حتى أننا لم نجد لهم حضوراً بارزاً في العام العاشر للهجرة، ولم يبق إلا العدد غير المعروف إلا لصاحب سر رسول الله ﷺ حذيفة بن اليمان [٢]، وكان عمر فيما بعد لا يصلي على جنازة من جهل حاله حتى يصلي عليه حذيفة بن اليمان لأنه كان يعلم أعيان المنافقين، وقد أخبره رسول الله بهم [٣].

كان العام التاسع حاسماً لحركة النفاق في المجتمع الإسلامي، فقد وصل النظام الإسلامي إلى قوته، ومن ثم لا بدّ من تحديد إطار التعامل مع كل القوى بوضوح [٤]، ولهذا عبر الإمام ابن القيم عن خطة الإسلام أمام المنافقين، فإنه أمر أن يقبل منهم علانيتهم، ويكل سرائرهم إلى الله، وأن يجاهدهم بالعلم والحجة، وأمر أن يعرض عنهم ويغلظ عليهم، وأن يبلغ بالقول البليغ إلى نفوسهم، ونهى أن يصلي عليهم، وأن يقوم على قبورهم، وأخبر إن استغفر لهم فلن يغفر الله لهم [٥].

وجاءت هذه الخطة وفق النصوص القرآنية التي احتوتها سورة التوبة (براءة) (الفاضحة) حيث يستغرق الحديث عن المنافقين أكثر من نصف السورة، فيفضح نواياهم وأعمالهم ووصف أحوالهم النفسية والقلبية، وموقفهم في غزوة تبوك وقبلها وفي أثنائها وما تلاها، وكشف حقيقة حيلهم ومعاذيرهم في التخلف عن الجهاد، وبث الضعف والفتنة والفرقة في الصفوف، وإيذاء رسول الله ﷺ بالقول والفعل [٦].

ومن أهم الأحكام التي برزت في هذه المرحلة ضد المنافقين:

١ ـ عدم الصلاة على من مات منهم، ودمغهم بالكفر:

﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾ [التوبة: الآيتان ٨٤، ٨٥].

---

(١) انظر: صحيح السيرة النبوية (ص ٦٢١، ٦٢٢)؛ السيرة لأبي شهبة (٢٨٥٣٤).
(٢) انظر: دراسات في عهد النبوة للشجاع (ص ٢٢١).
(٣) انظر: معين السيرة النبوية (ص ٤٦٤).
(٤) انظر: دراسات في عهد النبوة (ص ٢١٩).
(٥) زاد المعاد (٢/ ٩١).
(٦) انظر: المنافقون، محمد جميل غازي (ص ٩٢، ٩٣).

٢ ـ **تهديم مسجدهم الذي بنوه للإضرار بين المسلمين**، وهو مسجد الضرار وقد تحدثت عنه فيما مضى بنوع من التفصيل.

٣ ـ **إصدار الأمر بمجاهدة المنافقين كمجاهدة الكافرين**:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [التوبة: ٧٣] ، وسواء أكان الجهاد بالقتال أم في المعاملة والمواجهة والكشف والفضح، فإن طريقة التعامل مع المنافقين بعد سورة براءة، غير المعاملة قبلها.

٤ ـ **الكشف عن صفاتهم وأعمالهم بوضوح** كما جاء في سورة التوبة أيضاً فهم الذين قالوا تثبيطاً للمسلمين: ﴿فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓا۟ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة: ٨١] ، وهم الذين يلمزون المطوعين في الصدقات ويؤذون رسول الله ﷺ في القول والفعل [١] . . . إلخ . . . هذه معالم المنهج النبوي في التعامل مع حركة النفاق في المجتمع الإسلامي في العام التاسع الهجري.

ثالثاً: تخيير النبي ﷺ لزوجاته (دروس في بيوتات الرسول ﷺ):

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: الآيتان ٢٨، ٢٩] .

وقد دلّت الأحاديث الصحيحة على أن نزول هاتين الآيتين كان بعد اعتزال النبي ﷺ لنسائه، بعد أن أقسم أن لا يدخل عليهن شهراً، فاعتزلهن في مشربة له، وهي القصة المعروفة بقصة إيلائه [٢] من نسائه، وكان تاريخ نزول هذه الآيات في العام التاسع للهجرة [٣].

وأما سبب نزولها هو طلب زوجاته ﷺ التوسعة عليهن في النفقة، فقد أخرج مسلم عن جابر رضي الله عنه قال: دخل أبو بكر يستأذن على رسول الله ﷺ، فوجد الناس جلوساً ببابه لم يؤذن لأحد منهم، قال: فأذن لأبي بكر فدخل، ثم أقبل عمر فاستأذن فأذن له، فوجد النبي ﷺ جالساً حوله نساؤه واجما [٤] ساكتاً، قال: فقال: لأقولن شيئاً أضحك النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله: لو رأيت بنت خارجة [٥] سألتني النفقة فقمت إليها فوجأت عنقها [٦]، فضحك رسول الله ﷺ

---

(١) انظر: دراسات في عهد النبوة للشجاع (ص ٢٢٠).
(٢) الإيلاء: الحلف، قضايا نساء النبي والمؤمنات (ص ٥١).
(٣) انظر: قضايا نساء النبي والمؤمنات، (ص ٦٨).
(٤) واجماً: هو الذي اشتد حزنه حتى أمسك عن الكلام.
(٥) بنت زيد امرأة عمر جميلة بنت ثابت نسبها عمر إلى أحد أجدادها.
(٦) فوجأت عنقها: بمعنى طعنت عنقها.

وقال: «هنّ حولي كما ترى يسألنني النفقة». فقام أبو بكر إلى عائشة يجأ عنقها، فقام عمر إلى حفصة يجأ عنقها، كلاهما يقول: أتسألن رسول الله ﷺ ما ليس عنده، فقلن: والله! لا نسأل رسول الله شيئاً أبداً ليس عنده، ثم اعتزلهن شهراً أو تسعاً وعشرين، ثم نزلت عليه هذه الآية [١].

كانت الحياة المعيشية في بيوت رسول الله ﷺ تجري على وتيرة واحدة، بالرغم من إمكانية التوسع في بعض الأحيان، ونساء الرسول ﷺمن البشر، يرغبن بما يرغب به الناس، ويشتهين ما يشتهيه الناس [٢]، فقد كانت مساكنهن متواضعة بسيطة غاية البساطة، فقد وصفها الدكتور أبو شهبة فقال: إن الرسول ﷺ بنى حجراً حول مسجده الشريف لتكون مساكن له ولأهله ولم تكن الحجر كبيوت الملوك والأكاسرة والقياصرة، بل كانت بيوت من ترفَّع عن الدنيا وزخرفها، وابتغى الدار الآخرة، فقد كانت كمسجده مبنية من اللبن والطين وبعض الحجارة، وسقوفها من جذوع النخل والجريد، قريبة الفناء، قصيرة البناء، ينالها الغلام الفارع بيده. قال الحسن البصري ـ وكان غلاماً مع أمه خيرة مولاة أم سلمة ـ: قد كنت أنال أطول سقف في حجر النبي ﷺ بيدي، وكان لكل حجرة بابان: خارجي وداخلي من المسجد، ليسهل دخول النبي ﷺ إليه [٣].

وأما الإضاءة: فلم يكن هناك مصباح يستضاء به، يدل على ذلك ما رواه البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: كنت أنام بين يدي رسول الله ﷺ ورجلاي في قبلته، فإذا سجد غمزني فقبضت رجليَّ،فإذا قام بسطتهما، قالت: والبيوت يومئذٍ ليس فيها مصابيح [٤].

أما الفراش، الذي يأوي إليه النبي عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، فهو عبارة عن رمال حصير، ليس بينه وبينه فراش، قد أثر الرمال بجنبه، متكىء على وسادة من أدم حشوها ليف [٥]، فقد كانت معيشته ﷺ تدل على الشدة، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ما أعلم النبي ﷺ رأى رغيفاً مرققاً [٦] حتى لحق بالله، ولا أرى شاة سميطاً [٧] بعينه قط [٨]، وعن عائشة قالت: إن كنا لننظر إلى الهلال، ثلاثة أهلة في شهرين، وما أوقدت في أبيات

(١) مسلم في الطلاق (٢/ ١١٠٤).
(٢) انظر: معين السيرة (ص ٤٦٥).
(٣) انظر: السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة (٢/ ٣٥، ٣٦).
(٤) البخاري، كتاب الصلاة رقم (٥١٣).
(٥) البخاري، كتاب المظالم والغضب، (ك ٢٤٦٨).
(٦) مرققاً: رقيقاً ضد الغليظ.
(٧) سميط: الذي أزيل شعره بالماء المسخن وشوى.
(٨) البخاري في الرقائق رقم (٦٤٥٧).

رسول الله ﷺ نار، فقال لها عروة بن الزبير: ما كان يعيشكم؟ قالت: الأسودان: التمر والماء [١]، هذا وقد فتح الله على المسلمين بعد خيبر وفتح مكة، وغزوة تبوك وقد قرأت زوجات النبي ﷺ آيات في كتاب الله تبيح التمتع بنعم الله دون إسراف، فرغبن أن ينالهن حظ من ذلك كما قوله تعالى: ﴿۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١].

وحض على أكل الطيبات من الرزق قال سبحانه: ﴿قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٢].

ودعا إلى التوسط في الإنفاق والاعتدال فيه فقال تعالى: ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ فَتَقۡعُدَ مَلُومٗا مَّحۡسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٩]. إلا أن هناك جانباً آخر يتعلق به ﷺ ونمط من المعيشة اختاره بتوجيه من ربه ﷻ، فلم يلتفت لشيء من هذا، كما أدّبه ربّه ﷻ بقوله: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٨]. وقوله سبحانه: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيۡنَيۡكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّنۡهُمۡ زَهۡرَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا لِنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِۚ وَرِزۡقُ رَبِّكَ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ﴾ [طه: ١٣١]. ولذلك جاءت آيات التخيير، فوقف زوجاته ﷺ من قضية التخيير موقفاً حاسماً لا تردد فيه، فإنهن اخترن الله ورسوله والدار الآخرة، فقد كن يطلبن منه ﷺ التوسعة في النفقة، وكن يدافعن عن ذلك ما استطعن، فلما وصل الأمر إلى وضعهن أمام خيارين: الحياة الدنيا وزينتها، أو الله ورسوله والدار الآخرة لم يترددن لحظة واحدة في سلوك الخيار الثاني، بل قلن جميعهن بصوت واحد: نريد الله ورسوله والدار الآخرة [٢].

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: لما أمر رسول الله ﷺ بتخيير أزواجه بدأ بي فقال: إني ذاكر لك أمراً فلا عليك أن تعجلي حتى تستأمري أبويك، قالت: وقد علم أن أبويَّ لم يكونا يأمراني بفراقه، قالت: ثم قال: «إن الله جلّ ثناؤه قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ٢٨ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡمُحۡسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾» [الأحزاب: ٢٨، ٢٩]. قالت: فقلت: ففي أيّ هذا أستأمر أبويَّ؟ فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة، قالت: ثم فعل أزواج رسول الله ﷺ مثل ما فعلت [٣].

وهكذا تتجلى في موقفهن ـ رضي الله عنهنّ ـ صورة ناصعة لقوة الإيمان، واختبار حقيقي للإخلاص والصدق مع الله تعالى، فإن قوله تعالى في الآية الأولى من آيتي التخيير: ﴿إِن كُنتُنَّ

(١) البخاري في الرقاق رقم (٦٤٥٩).
(٢) انظر: قضايا نساء النبي ﷺ والمؤمنات في سورة الأحزاب (ص ٧٧).
(٣) البخاري، كتاب التفسير رقم (٤٧٨٦).

﴿تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ﴾، كالوعد بحصولهن على مبتغاهن في الحياة الدنيا وزينتها إن اخترن ذلك ولكنهن رفضن هذا، واخترن الله ورسوله والدار الآخرة، وفي قوله تعالى في الآية الثانية: ﴿وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾، إشارة إلى أن ما يَنَلْنَه من الأجر سببه كونهم محسنات، ومن ذلك اختيارهن الله ورسوله والدار الآخرة، إذ لا يكفي لحصولهن على هذا الأجر كونهن زوجات للرسول ﷺ [١].

وتنكير الأجر ثم وصفه بأنه عظيم، فيه ترغيب لهن بالكف عن التطلع إلى الحياة الدنيا وزينتها، فهذا الأجر لا يقدر قدره إلا الله، وهو شامل لخيري الدنيا والآخرة [٢].

ولقد اعتبر الخلفاء الراشدون قصة التخيير تلك معلماً من معالم الإسلام ومنهجاً نبوياً كريماً ينبغي أن يسلكه بيت القيادة في الأمة. وإن النظرة الفاحصة في التاريخ لتبين أن هذا الجانب يعد معياراً دقيقاً به يعرف القرب من الاستقامة أو البعد عنها، وقد فهم قادة الأمة المؤمنون ـ حينما وجدوا ـ على امتداد تاريخ الإسلام، أهمية هذا الجانب فرعوه حق رعايته، وإن الأمثلة العملية من تاريخ الخلافة الراشدة هي من الوفرة والكثرة بمكان بحيث لا يتعب الباحث في التفتيش [٣] عنها.

إن قيادة الأمة تكليف ومغرم وليست مغنماً، ولا بدّ للذين يتولونها أن يحسبوا أهمية التعالي على حطام الدنيا، والشوق إلى الله والدار الآخرة [٤].

رابعاً: حج أبي بكر رضي الله عنه بالناس:

كانت تربية المجتمع وبناء الدولة في عصر النبي ﷺ مستمرة على كل الأصعدة والمجالات العقائدية والاقتصادية والاجتماعية، والسياسية والعسكرية والتعبدية، وكانت فريضة الحج لم تمارس في السنوات الماضية، فحجة عام ٨ هـ بعد الفتح كُلِّف بها عتّاب بن أسيد، ولم تكن قد تميَّزت حجة المسلمين عن حجة المشركين [٥]، فلما حل موسم الحج أراد ﷺ الحج ولكنه قال: «إنه يحضر البيت عراة مشركون يطوفون بالبيت، فلا أحب أن أحج حتى لا يكون ذلك» فأرسل ﷺ الصدِّيق أميراً على الحج سنة تسع، فخرج أبو بكر ومعه عدد كبير من الصحابة [٦]، وساقوا معهم الهدى [٧]، فلما خرج الصديق بركب الحجيج نزلت سورة براءة، فدعا النبي ﷺ علياً رضي الله عنه وأمره أن يلحق بأبي بكر الصديق، فخرج على ناقة رسول الله ﷺ العضباء حتى أدرك

(١) انظر: قضايا نساء النبي والمؤمنات في سورة الأحزاب (ص ٧٩).
(٢) انظر: تفسير السعدي (٤/ ١٤٨).
(٣) انظر: البداية والنهاية (٧/ ١٣٦).
(٤) انظر: معين السيرة (ص ٤٧٥).
(٥) انظر: السيرة النبوية لأبي شهبة (٢/ ٥٣٦)؛ دراسات في عهد النبوة (ص ٢٢٢).
(٦) انظر: نضرة النعيم (١/ ٣٩٨)؛ الطبقات الكبرى (٢/ ١٦٨).
(٧) انظر: فتح الباري (٨/ ٨٢).

الصديق أبا بكر بذي الحليفة، فلمَّا رآه الصديق قال له: أمير أم مأمور؟ فقال: بل مأمور، ثم سارا، فأقام أبو بكر للناس الحج على منازلهم التي كانوا عليها في الجاهلية، وكان الحج في هذا العام في ذي الحجّة كما دلّت على ذلك الروايات الصحيحة لا في شهر ذي القعدة كما قيل، وقد خطب الصديق قبل التروية، ويوم عرفة، ويوم النحر، ويوم النفر الأول، فكان يعرف الناس مناسكهم: في وقوفهم وإفاضتهم، ونحرهم، ونفرهم، ورميهم للجمرات. . . . إلخ وعليٌّ يخلفه في كل موقف من هذه المواقف، فيقرأ على الناس صدر سورة براءة ثم ينادي في الناس بهذه الأمور الأربعة: لا يدخل الجنة إلا مؤمن، ولا يطوف بالبيت عريان، ومن كان بينه وبين رسول الله عهد فعهده إلى مدته، ولا يحج بعد العام مشرك [(١)].

وقد أمر الصدِّيق أبا هريرة في رهط آخر من الصحابة لمساعدة علي بن أبي طالب في إنجاز مهمته [(٢)].

إن نزول صدر سورة براءة يمثل مفاصلة نهائية مع الوثنية، وأتباعها، حيث منعت حجهم وأعلنت الحرب عليهم [(٣)].

قال تعالى: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١ فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٢ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ۚ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة: ١ ـ ٣].

وقد أمهل المعاهدون لأجل معلوم منهم إلى انتهاء مدتهم فقال تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٤].

كما أمهل من لا عهد له من المشركين إلى انسلاخ الأشهر الحرم، حيث يصبحون بعدها في حالة حرب مع المسلمين قال تعالى: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ٥].

وقد كلّف النبي ﷺ علياً بإعلان نقض العهود على مسامع المشركين في موسم الحج، مراعاة لما تعارف عليه العرب فيما بينهم في عقد العهود ونقضها. أن لا يتولى ذلك إلا سيد القبيلة أو رجل من رهطه، وهذا العرف ليس فيه منافاة للإسلام، فلذلك تدارك النبي ﷺ الأمر

---

(١) انظر: صحيح السيرة النبوية (ص ٦٢٥).
(٢) انظر: السيرة النبوية لأبي شهبة (٢/ ٥٣٧).
(٣) انظر: نضرة النعيم (١/ ٣٩٩).

وأرسل علياً بذلك، فهذا هو السبب في تكليف عليّ بتبليغ صدر سورة براءة لا ما زعمته الرافضة من أن ذلك للإشارة إلى أن علياً أحق بالخلافة من أبي بكر، وقد علّق على ذلك الدكتور محمد أبو شهبة فقال: ولا أدري كيف غفلوا عن قول الصديق له: أمير أم مأمور [١]؟ وكيف يكون المأمور أحق بالخلافة من الأمير [٢].

وقد كانت هذه الحجة بمثابة التوطئة للحجة الكبرى وهي حجة الوداع [٣]، لقد أعلن في حجة أبي بكر أن عهد الأصنام قد انقضى، وأن مرحلة جديدة قد بدأت، وما على الناس إلا أن يستجيبوا لشرع الله تعالى، فبعد هذا الإعلان الذي انتشر بين قبائل العرب في الجزيرة، أيقنت تلك القبائل أن الأمر جد، وأن عهد الوثنية قد انقضى فعلاً فأخذت ترسل وفودها معلنة إسلامها ودخولها في التوحيد [٤].

خامساً: عام الوفود (٩ هـ):

لمَّا افتتح رسول الله ﷺ مكة، وفرغ من تبوك وأسلمت ثقيف وبايعت، وضرب رسول الله ﷺ أمد أربعة أشهر لقبائل العرب المشركين؛ لكي يقرروا مصيرهم بأنفسهم قبل أن تتخذ الدولة الإسلامية منهم موقفاً معيناً، ضربت إليه وفود العرب آباط الإبل من كل وجه معلنة إيمانها وولاءها [٥]، وقد اختلف العلماء في تاريخ مقدم الوفود على رسول الله ﷺ وفي عددها، حيث أشارت المصادر الحديثية والتاريخية إلى قدوم بعض الوفود إلى المدينة في تاريخ مبكر عن السنة التاسعة، ولعل ذلك ما أدى إلى الاختلاف في تحديد عدد الوفود بين ما يزيد عن ستين وفداً عند البعض، وليرتفع فيبلغ أكثر من مائة وفد عند آخرين، ولعل البعض قد اقتصر على ذكر المشهور منهم [٦]، فقد أورد محمد بن إسحاق أنه: لما فتح رسول الله ﷺ مكة المكرمة، وفرغ من تبوك، وأسلمت ثقيف وبايعت، ضربت إليه وفود العرب من كل وجه [٧].

وقد استقصى ابن سعد في جمع المعلومات عن الوفود، كما فصل كثيراً وقدم ترجمات وافية عن رجال الوفود، ومن كانت له صحبة منهم، وما ورد عن طريقهم من آثار، ولا تخلو أسانيد ابن سعد أحياناً من المطاعن، كما أن فيها أسانيد من الثقات أيضاً [٨]، ولا شك في أن الأخبار التي أوردها المؤرخون ليست ثابتة بالنقل الصحيح المعتمد وفق أساليب المحدثين، رغم أن عدداً كبيراً من المرويات عن تلك الوفود ثابتة وصحيحة [٩]، فقد أورد البخاري معلومات عن وفد قبيلة تميم وقدومه إلى النبي ﷺ ووفود أخرى مثل: عبد القيس وبني حنيفة، ووفد نجران،

---

(١) انظر: صحيح السيرة النبوية (ص ٦٢٤).
(٢) انظر: السيرة النبوية لأبي شهبة (٢/ ٥٤٠).
(٣) المصدر نفسه، (٢/ ٥٤٠).
(٤) انظر: قراءة سياسية للسيرة النبوية (ص ٢٨٣).
(٥) المصدر نفسه، (ص ٢٨٤).
(٦) انظر: نضرة النعيم (١/ ٣٩٦).
(٧) انظر: البداية والنهاية (٥/ ٤٦، ٤٧).
(٨) انظر: نضرة النعيم (١/ ٣٩٧).
(٩) انظر: السيرة النبوية الصحيحة (٢/ ٥٤٢).

ووفد الأشعريين وأهل اليمن، ووفد دوس [١]، وتعززت أخبار هذه الوفود بمعلومات إضافية وردت في مصادر تاريخية إلى جانب ما ورد عنها في كتب السير والمغازي .[٢] وقد أورد مسلم أخباراً عن أغلب الوفود المذكورة آنفاً [٣] كما أوردت بقية الكتب الستة معلومات أوسع شملت عدداً كبيراً من الوفود [٤].

إن قصص الوفود وأخبارها وكيفية تعامل رسول الله ﷺ معها من الأهمية بالمكان الكبير [٥]. وتبقى مسألة الحاجة الماسة إلى نقد تاريخي لمتون الأخبار المفصلة التي وصلتنا عن الوفود، [٦] لقد تركت لنا تلك الأخبار والقصص منهجاً نبوياً كريماً في تعامله ﷺ مع الوفود يمكننا الاستفادة من هديه ﷺ في تعامله مع النفسية البشرية وتربيته ودقته وتنظيمه، ففيها ثروة هائلة من الفقه الذي يدخل في دوائر التعليم والتربية والتثقيف وبعد النظر وجمع القلوب على الغاية وربط أفراد بأعيانهم بالمركز، بحيث تبقى في كل الظروف والأحوال مرتكزات قوية إلى الإسلام، إلى غير ذلك من مظاهر العظمة للعاملين في كل الحقول نفسياً واجتماعياً واقتصادياً وإدارياً وسياسياً وعسكرياً، تعطى لكل عامل في جانب من هذه الجوانب دروساً تكفيه وتغنيه [٧]، هذا وقد تميّز العام التاسع بتوافد العرب إلى المدينة وقد استعدت الدول الإسلامية لاستقبالهم وتهيئة المناخ التربوي لهم، وقد تمثل هذا الاستقبال، بتهيئة مكان إقامة لهم وكانت هناك دار للضيافة [٨]، ينزل فيها الوافدون، وهناك مسجد رسول الله ﷺ الذي كان ساحة للاستقبال، ثم كان هناك تطوع أو تكليف رسول الله ﷺ لأحد الصحابة باستضافة بعض القادمين [٩]، واهتم ﷺ بتلك الوفود وحرص على تعليمها وتربيتها، وقد كانت تلك الوفود حريصة على فهم الإسلام وتعلم شرائعه وأحكامه وآدابه ونظمه في الحياة، وتطبيق ما تعلّموه تطبيقاً عملياً، جعلهم نماذج حياة لفضائله، وقد كان لكثير منهم سؤالات عن أشياء كانت شائعة بينهم ابتغاء معرفة حلالها وحرامها، وكان النبي ﷺ حريصاً أشد الحرص على تفقيههم في الدين، وبيان ما سألوه عنه، وكان ﷺ يدني منهم من يعلم منه زيادة حرص على القرآن العظيم وحفظ آياته تفقهاً فيه ويقول لأصحابه: «فقِّهوا إخوانكم»، [١٠]، وكان ﷺ يسأل عمن يعرف من شرفائهم، فإذا رغبوا في

(١) البخاري، كتاب المغازي، رقم ٤٣٦٥، ٤٣٦٨، ٤٣٧٢، ٤٣٩٢.
(٢) انظر: البداية والنهاية (٥/ ٤٠ ـ ٩٨).
(٣) انظر: نضرة النعيم (١/ ٣٩٨).
(٤) المصدر نفسه، (١/ ٣٩٨).
(٥) انظر: السيرة النبوية الأساس في السنّة (٢/ ١٠١٤).
(٦) انظر: السيرة النبوية الصحيحة (٢/ ٥٤٤).
(٧) انظر: الأساس في السنّة (٢/ ١٠١٤).
(٨) انظر: المدينة النبوية فجر الإسلام والعصر الراشدي، محمد شُرّاب (٢/ ٤٠٠).
(٩) انظر: دراسات في عهد النبوة للشجاع (ص ٢٢١).
(١٠) انظر: محمد رسول الله، صادق عرجون (٤/ ٥٢٠).

الرحيل إلى بلادهم أوصاهم بلزوم الحق، وحثَّهم على الاعتصام بالصبر، ثم يجزيهم بالجوائز الحسان،ويسوِّي بينهم، فإذا رجعوا إلى أقوامهم رجعوا هُداة دعاة، مشرقة قلوبهم بنور الإيمان، يعلمونهم مما عُلِّموا، ويحدثونهم بما سمعوا، ويذكرون لهم مكارم النبي وبرّه وبشره واستنارة وجهه سروراً بمقدمهم عليه، ويذكرون لهم ما شاهدوه من حال أصحابه في تآخيهم وتحابهم ومواساة بعضهم بعضاً ليثيروا في أنفسهم الشوق إلى لقاء رسول الله ﷺ، ولقاء أصحابه، ويحببوا إليهم التأسي بهم في سلوكهم ومكارم أخلاقهم [١]، واختارت بعض الوفود البقاء على نصرانيتها كوفد نصارى نجران ووافقت على دفع الجزية، ونحاول أن نتحدث عن بعض الوفود لما في ذلك من الفقه والدروس والعِبَر، كوفد عبد قيس، وبني سعد بن بكر، ووفد نصارى نجران:

أ ـ وفد عبد قيس:

وقد تحدث ابن عباس ﷺ عن قدومهم قال:

إن وفد عبد القيس أتوا رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «من الوافد؟ أو من القوم؟» قالوا: ربيعة قال: «مرحباً بالقوم [٢]، أو بالوفد غير خزايا ولا ندامى»[٣].

قال: فقالوا: يا رسول الله: إنا نأتيك من شقة بعيدة [٤]، وإن بيننا وبينك هذا الحي من كفار مضر، وإنا لا نستطيع أن نأتيك إلا في شهر حرام، فمرنا بأمر فصل [٥] نخبر به من وراءنا، ندخل به الجنة، قال: فأمرهم بأربع، ونهاهم عن أربع. قال: أمرهم بالإيمان بالله وحده، قال: «هل تدرون ما الإيمان بالله؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله،وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة وصوم رمضان، وأن تؤدوا خمساً من المغنم» ونهاهم عن الدباء [٦]، والحنتم [٧]، والمزفت [٨]، وربما قال النقير [٩]، أو المقير، وقال: «احفظوهن وأخبروا بهن من وراءكم» [١٠]، وفي رواية: أن الأشج بن عبد قيس تخلف في الركاب حتى أناخها، وجمع متاع القوم، ثم جاء يمشي حتى أخذ بيد رسول الله ﷺ فقبّلها،

---

(١) انظر: محمد رسول الله، صادق عرجون، (٤/ ٥٢١).
(٢) مرحباً بالقوم: صادت رحباً وسعة.
(٣) غير خزايا ولا ندامى: معناه لم يكن منكم تأخر عن الإسلام ولا عناد.
(٤) شقة بعيدة: السفر البعيد، وقيل: المسافة البعيدة.
(٥) الأمر الفصل: اللين الواضح الذي ينفصل به المراد.
(٦) الدباء: القرع اليابس أي الوعاء فيه.
(٧) الحنتم: أصح الأقوال فيها: الجرار الخضر وهي جرار كانت يحمل فيها الخمر.
(٨) المزفت: الأوعية التي فيها الزفت.
(٩) النقير: جذع ينقر وسطه ثم ينبذ فيها الرطب والبسر.
(١٠) البخاري، كتاب الإيمان رقم (٥٣).

فقال له النبي ﷺ: «إن فيك خصلتين يحبهما الله ورسوله»، فقال: جبل جبلت عليه أم تخلقاً مني؟ قال: «بل جبل»، قال: الحمد للّه الذي جبلني على ما يحب الله ورسوله [١].

وقد انشغل رسول الله ﷺ بمقدمهم وأخر صلاة السنة البعدية بعد الظهر وصلاها بعد العصر [٢].

ب ـ وفد ضمامة بن ثعلبة عن قومه بني سعد بن بكر:

قال أنس بن مالك رضي الله عنه: بينما نحن جلوس مع النبي ﷺ في المسجد دخل رجل على جمل فأناخه في المسجد ثم علقه، ثم قال لهم: أيكم محمد ـ والنبي ﷺ متكىء بين ظهرانيهم ـ فقلنا: هذا الرجل الأبيض المتكىء، فقال له الرجل: ابن عبد المطلب. فقال له النبي ﷺ: «قد أجبتك»، فقال الرجل للنبي ﷺ: إني أسألك فمشدد عليك في المسألة، فلا تجد [٣] عليَّ في نفسك فقال: «سل عما بدا لك».

فقال: أسألك بربك ورب من قبلك، آللّه أرسلك إلى الناس كلهم؟ فقال: «اللهم نعم».

قال: أنشدك بالله، آللّه أمرك أن نصلي الصلوات الخمس في اليوم والليلة؟ قال: «اللهم نعم».

قال: أنشدك بالله، آللّه أمرك أن نصوم هذا الشهر من السنة؟ قال: «اللهم نعم».

قال: أنشدك بالله، آللّه أمرك أن تأخذ هذه الصدقة من أغنيائنا فتقسمها على فقرائنا؟ فقال النبي ﷺ: «اللهم نعم».

فقال الرجل: آمنت بما جئت به، وأنا رسول من ورائي من قومي، وأنا ضمام بن ثعلبة أخو بني سعد بن بكر [٤].

وفي رواية ابن عباس: . . . . حتى إذا فرغ قال: فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ﷺ وسأؤدي هذه الفرائض وأجتنب ما نهيتني عنه، ثم لا أزيد ولا أنقص.

قال: ثم انصرف راجعاً إلى بعيره، فقال رسول الله ﷺ حين ولى: «إن يصدق ذو العقيصتين [٥] يدخل الجنة»، قال: فأتى إلى بعيره، فأطلق عقاله ثم خرج حتى قدم على قومه فاجتمعوا إليه، فكان أول ما تكلم به أن قال: بئست اللات والعزى، قالوا: صه يا ضمام اتق

---

(١) انظر: صحيح السيرة النبوية (ص ٦٣١).
(٢) المصدر نفسه، (ص ٦٣٥).
(٣) تجد: تحقد وتحمل البغضاء.
(٤) البخاري، كتاب العلم رقم (٦٣).
(٥) لأنه فرق شعره فرقتين.

البرص والجذام، اتق الجنون، قال: ويلكم إنهما والله لا يضران ولا ينفعان، إن الله ﷻ قد بعث رسولاً، وأنزل عليه كتاباً استنقذكم به مما كنتم فيه. وإني أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، إني قد جئتكم من عنده بما أمركم به ونهاكم عنه، قال فوالله ما أمسى من ذلك اليوم وفي حاضرة رجل ولا امرأة إلا مسلماً، قال: يقول ابن عباس ﷺ: فما سمعنا بوافد قوم كان أفضل من ضمام بن ثعلبة [١].

وتدل قصة إسلامه على مدى انتشار تعاليم الإسلام في وسط القبائل العربية، حتى جاء ضمام لا ليسأل عنها، ولكن جاء ليستوثق منها، معدداً لها الواحدة تلو الأخرى، مما يدل على استيعابه لها قبل مجيئه إلى الرسول ﷺ [٢].

جـ ـ وفد نصارى نجران:

كتب رسول الله ﷺ إلى نجران [٣] كتاباً قال فيه: «أما بعد، فإني أدعوكم إلى عبادة الله من عبادة العباد، وأدعوكم إلى ولاية الله من ولاية العباد، فإن أبيتم فالجزية. فإن أبيتم آذنتكم بحرب. والسلام» [٤].

فلما أتى الأسقف الكتاب، جمع الناس وقرأه عليهم، وسألهم عن الرأي فيه؟ فقرروا أن يرسلوا إليه وفداً يتكوَّن من أربعة عشر من أشرافهم، وقيل ستين راكباً، منهم ثلاثة نفر يؤول إليهم أمرهم: العاقب، وهو أميرهم وصاحب مشورتهم والذين يصدرون عن رأيه، والسيد وهو صاحب رحلتهم، وأبو الحارث أسقفهم، وحبرهم وصاحب مدارسهم، فقدموا على النبي ﷺ فدخلوا المسجد عليهم ثياب الحِبرَة، وأردية مكفوفة بالحرير، وفي أيديهم خواتيم الذهب، فقاموا يصلُّون في المسجد نحو المشرق، فقال رسول الله ﷺ: «دعوهم»، ثم أتوا النبي ﷺ فأعرض عنهم، ولم يكلمهم، فقال لهم عثمان: من أجل زيِّكم هذا، فانصرفوا يومهم هذا، ثم غَدوا عليه بزي الرهبان فسلّموا عليه، فردّ عليهم ودعاهم إلى الإسلام، فأبوا وقالوا: كنا مسلمين قبلكم، فقال النبي ﷺ: «يمنعكم من الإسلام ثلاث:

عبادتكم الصليب، وأكلكم لحم الخنزير، وزعمكم أن للّه ولداً [٥]، وكثر الجدال والحجاج بينه وبينهم»، والنبي يتلو عليهم القرآن ويقرع باطلهم بالحجة. وكان مما قالوه لرسول الله ﷺ: مالك تشتم صاحبنا وتقول إنه عبد الله، فقال: «أجل، إنه عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم العذراءالبتول»، فغضبوا وقالوا: هل رأيت إنساناً قط من غير أب فإن

---

(١) انظر: صحيح السيرة النبوية (ص ٦٣٠) مسند أحمد (١/ ٢٦٤).
(٢) انظر: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية (ص ٦٥٠).
(٣) نجران بلد كبير على سبع مراحل من مكة إلى جهة اليمن.
(٤) انظر: البداية والنهاية (٥/ ٤٨).
(٥) انظر: السيرة النبوية لأبي شهبة (٢/ ٥٤٧).

كنت صادقاً فأرنا مثله؟ فأنزل الله في الرد عليهم قوله سبحانه: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ [آل عمران: الآيتان ٥٩، ٦٠].

فكانت حجة دامغة شبه فيها الغريب بما هو أغرب منه [١]، فلما لم تُجد معهم المجادلة بالحكمة والموعظة الحسنة دعاهم إلى المباهلة [٢]، امتثالاً لقوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [آل عمران: ٦١].

وخرج النبي ﷺ ومعه علي، والحسن، والحسين، وفاطمة وقال: «وإذا أنا دعوت فأمِّنوا» [٣] فائتمروا فيما بينهم، فخافوا الهلاك لعلمهم أنه نبي حقاً، وأنه ما باهل قوم نبياً إلا هلكوا، فأبوا أن يلاعنوه وقالوا: احكم علينا بما أحببت، فصالحهم على ألفي حلة، ألف في رجب، وألف في صفر [٤]، ولما عزموا على الرجوع إلى بلادهم قالوا للنبي ﷺ: ابعث معنا رجلاً أميناً ليقبض منهم مال الصلح، فقال لهم: «لأبعثنَّ معكم رجلاً أميناً حق أمين»، فاستشرف له أصحاب رسول الله ﷺ فقال: «قم يا أبا عبيدة بن الجراح»، فلما قام قال: «هذا أمين هذه الأمة» [٥].

سادساً: بعوث رسول الله لتعليم مبادىء الإسلام وترتيب أمور الإدارة والمال:

كانت الوفود تسعى إلى المدينة لتعلن إسلامها وتنضوي تحت سيادة الدولة الإسلامية، ويتعلموا ما شاء الله أن يتعلموه في المدينة قبل رجوعهم إلى موطنهم، وكان ﷺ يرسل معهم من يعلمهم دينهم، وشرع ﷺ يبعث دعاته في شتى الجهات واهتم بجنوب الجزيرة حيث قبائل اليمن لتعليمها مبادىء الإسلام وأحكامه، فقد انتشر أمر الإسلام في الجزيرة ومختلف أطرافها، وأصبحت الحاجة داعية إلى معلمين ودعاة ومرشدين يشرحون للناس حقائق الإسلام [٦]، لكي تتطهر قلوبهم وتشفي صدورهم من أمراض الجاهلية وأدرانها الخبيثة، وامتنعت قبيلة الحارث بن كعب عن الدخول في الإسلام، فأرسل إليهم رسول الله ﷺ خالداً في سرية دعوية جهادية.

أ ـ بعث خالد إلى بني الحارث بن كعب (١٠ هـ):

كان بنو الحارث بن كعب يسكنون بنجران ولم يقبل منهم أحد الإسلام، فبعث

---

(١) انظر: زاد المعاد (٣/ ٦٣٣)؛ السيرة النبوية لأبي شهبة (٢/ ٥٤٧).
(٢) انظر: السيرة النبوية لأبي شهبة (٢/ ٥٤٧).
(٣) المصدر نفسه، (ص ٢/ ٥٤٧).
(٤) المصدر السابق (٢/ ٥٤٧).
(٥) البخاري، كتاب فضائل الصحابة رقم (٣٧٤٥).
(٦) انظر: فقه السيرة للبوطي (ص ٣٢٢).

رسول الله ﷺ إليهم خالد بن الوليد في شهر ربيع الآخر أو جمادي سنة عشر، وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام قبل أن يقاتلهم ثلاثاً، فإن استجابوا قبل منهم، وإن لم يفعلوا قاتلهم، فخرج خالد حتى قدم عليهم فبعث الركبان في كل وجه يدعون إلى الإسلام، فأسلم الناس ودخلوا فيما دعوا إليه، فأقام فيهم خالد يعلمهم الإسلام وكتاب الله وسنّة نبيِّه ﷺ، كما أمره رسول الله ﷺ، ثم كتب خالد إلى رسول الله ﷺ يعلمه بإسلامهم وأنه مقيم فيهم حتى يكتب إليه رسول الله ﷺ، فجاءه كتاب رسول الله ﷺ يأمره بأن يقبل إلى المدينة ومعه وفد منهم ففعل، فلما قدموا أمَّر عليهم قيس بن الحصين، وبعث إليهم بعد ذلك عمرو بن حزم ليفقههم في الدين ويعلمهم السنّة، ومعالم الإسلام .[١] وفي رواية: أنه ﷺ أرسل علياً بدلاً من خالد وعندما وصل إلى قبائل همدان قرأ عليهم كتاب رسول الله ﷺ فأسلمت همدان جميعاً، فكتب عليٌّ إلى رسول الله ﷺ بإسلامهم فلما قرأ رسول الله ﷺ الكتاب خرّ ساجداً، ثم رفع رأسه فقال: «السلام على همدان، السلام على همدان». كان رسول الله ﷺ حريصاً على الجبهة الجنوبية للدولة وأن تدخل قبائل اليمن في الإسلام، وظهر هذا الاهتمام في النتائج الباهرة التي حققتها الدعوة في كثرة عدد الوفود التي كانت تنساب من كل أطراف اليمن متجهة إلى المدينة، مما يدل على أن نشاط المبعوثين إلى اليمن كان متصلاً وبعيد المدى، وكانت سرايا رسول الله ﷺ تساند هذا النشاط الدعوي السلمي، حيث بعث خالد بن الوليد ثم علي بن أبي طالب ﷺ في هذا السياق [٢].

إن الوثائق التي عقدها النبي ﷺ مع قبائل اليمن وحضرموت قد بلغت عدداً كبيراً ضمّنها محمد حميد الله رحمه الله في كتابه (مجموعة الوثائق السياسية) [٣].

إن التركيز على مفاصل القوى، ومراكز التأثير في المجتمعات وبناء الدول منهج نبوي كريم حرص النبي ﷺ على ممارسته في حياته.

ب ـ بعث معاذ بن جبل وأبي موسى الأشعري إلى اليمن ﷺ :

١ ـ بعث رسول الله ﷺ معاذ بن جبل الأنصاري أعلم الصحابة في علم الحلال والحرام إلى اليمن قاضياً ومفقِّهاً، وأميراً، ومصدِّقاً [٤]، وجعله على أحد مخْلافيها [٥] وهو الأعلى. ولما خرج معاذ قاصداً اليمن خرج معه رسول الله ﷺ يودعه ويوصيه، ومعاذ راكب، ورسول الله ﷺ يمشي تحت راحلته، فأوصاه بوصايا كثيرة ورسم له منهجاً دعوياً عظيماً

(١) انظر: السيرة لابن هشام(٤/ ٢٥٠).
(٢) انظر: الفقه السياسي للوثائق النبوية (ص ٢٣١).
(٣) انظر: الوثائق السياسية، حميد الله رقم (١١١ ص ٢٣٠).
(٤) المصدّق: آخذ الزكاة.
(٥) المخلاف: الإقليم والكورة والرستاق.

حيث قال له: «إنك ستأتي قوماً من أهل الكتاب، فإذا جئتهم فادعُهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، فإن هم طاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم طاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم طاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينه وبين الله حجاب [١]». وفي هذا الحديث إرشاد من النبي ﷺ للدعاة إلى الله بالتدرج والبدء بالأهم فالأهم، فالدعوة تكون بترسيخ الإيمان بالله تعالى ورسوله إيماناً يثبت في القلوب ويهيمن على الأفكار والسلوك، ثم تكون الدعوة بعد ذلك إلى تطبيق أركان الإسلام العملية التي ترسخ هذا الإيمان وتنميه، ثم يأتي بعد ذلك الأمر بالواجبات والنهي عن المحرمات، فيتقبل الناس تكاليف الإسلام التي قد تكون مخالفة لهوى النفس لأن قلوبهم قد عمرت بالإيمان واليقين قبل ذلك[٢].

وهذا منهج نبوي كريم رسمه ﷺ لمعاذ ولمن يريد أن يسير على هدى الصحابة الكرام، وما أحوج الذين نذروا أنفسهم للدعوة إلى الله إلى الوقوف أمام هذا الهدى النبوي يترسمون خطاه، ويستوعبونه فهماً ووعياً، وتطبيقاً، وحينئذٍ تكون خطاهم في الطريق الصحيح [٣] ولما فرغ رسول الله ﷺ من وصاياه لمعاذ قال له: «يا معاذ، إنك عسى أن لا تلقاني بعد عامي هذا، ولعلك أن تمر بمسجدي هذا وقبري» [٤]. فبكى معاذ خَشَعاً لفراق الرسول ﷺ، وكذلك وقع الأمر كما أشار الرسول، فقد أقام معاذ باليمن ولم يقدم إلا بعد وفاة الرسول ﷺ [٥].

٢ ـ وبعث رسول الله ﷺ أبا موسى الأشعري ومعاذ بن جبل إلى اليمن، وبعث كل واحد منهما على مخلاف، قال: «واليمن مخلافان»، ثم قال: «يسِّرا ولا تعسرا، وبشِّرا ولا تنفِّرا» [٦].

وهذا منهج نبوي كريم أرشد إليه رسول الله معاذاً وأبا موسى بأن يأخذا بالتيسير على الناس ونهاهما عن التعسير عليهم، وأمرهما بالتبشير ونهاهما عن التنفير [٧].

جـ ـ ترتيب أمور الإدارة والمال:

إن النظام جزء من هذا الدين، وداخل في كل أموره، لأن النظام يجمع الأشتات، وتحقق به الأهداف والغايات، فالنظام سمة يتميّز بها الإسلام منذ اللحظة الأولى حيث يدخل في جميع جوانب الإسلام التصورية والشعائرية والتعبدية وفي الشرائع الحياتية كلها، فكان ﷺ يضع من

(١) البخاري، كتاب المغازي رقم (٤٣٤٧).
(٢) انظر: التاريخ الإسلامي (٨/ ١٨٧).
(٣) انظر: معين السيرة (ص ٤٨٦).
(٤) انظر: صحيح السيرة (ص ٦٥٤).
(٥) انظر: السيرة النبوية لأبي شهبة (٢/ ٥٥٩).
(٦) البخاري، كتاب المغازي رقم (٤٣٤٢).
(٧) انظر: التاريخ الإسلامي للحميدي (٨/ ١٨٦).

يدير المدينة في حالة غيبته عنها، وكلما فتح منطقة وضع عليها أميراً، وكانت الوفود تأتي إلى رسول الله ﷺ فيعين عليها أميراً من قبله، ثم يترك لهم من يعلمهم دينهم ويرسل إليهم من يجمع صدقاتهم [١]، وكان يختار عمّاله من الصالحين وأولي العلم والدين، ومن المنظور إليهم من العرب وذوي الشخصيات المؤثرة في قبائلهم، فقد كان عامله على مكة عتاب بن أسيد وعلى الطائف عثمان بن العاص، وبعث علياً وأبا موسى إلى اليمن، وأقر الرسول في بعض الحالات أمراء وملوك القبائل التي أسلمت أو قبلت الجزية ومنهم باذان بن سامان ولد بهرام الذي أقرّه الرسول ﷺ على اليمن بعد إسلامه، ولما بلغه موته قسم عمله على جماعة من الصحابة، فولّى على صنعاء شمر بن باذان، وعلى مأرب أبا موسى الأشعري، وعلى الجند يعلى بن أمية، وعلى همذان عامر بن شمر الهمذاني، وعلى ما بين نجران وزمع وزبيد خالد بن سعيد بن العاص، وعلى نجران عمرو بن حزام، وعلى بلاد حضرموت زياد بن لبيد البياضي، وعلى السكاسك والسكون عكاشة بن ثور [٢]، وكان ﷺ يستوفي الحساب على العمال، يحاسبهم على المستخرج والمصروف، وحدّد ﷺ لبعض عماله رواتب، منهم عتاب بن أسيد والي مكة درهماً كل يوم [٣]، ولما استعمل عليه الصلاة والسلام قيس بن مالك على قومه همذان خصص له قطعة من الأرض يأخذ خراجها، وكانت رواتب عماله تتغير بتغير أحوال المعيشة فهي ليست ثابتة [٤]، قال رسول الله ﷺ: «من ولى لنا ولاية ولم يكن له بيت فليتخذ بيتاً أو لم تكن له زوجة فليتخذ زوجة، أو لم تكن له دابة فليتخذ دابة» [٥]. وهذه هي الحاجات الرئيسية لولي الأمر في ذلك الوقت منعاً لأخذ الرشوة، وهذه قاعدة قانونية جاء بها الإسلام قبل أن تثبتها القوانين الوضعية الحديثة في بنودها وهي أن الهدية للحاكم رشوة صريحة [٦].

المبحث السابع

حجة الوداع (١٠ هـ)

الحج أحد الأركان الخمسة، وقد فرض في العام العاشر، وهذا ما ذهب إليه ابن القيم [٧] واستدل بأدلة قوية وهو اللائق بهديه ﷺ في عدم تأخير ما هو فرض، لأن الله تعالى يقول: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عِمرَان: ٩٧] . وقد نزلت عام الوفود،

(١) انظر: دراسات في عهد النبوة للشجاع (ص ٢٢١).
(٢) ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر (٢/ ٥٩).
(٣) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (٤/ ١٥٣).
(٤) انظر: الدولة العربية الإسلامية، منصور الحرابي (ص ٤٤).
(٥) انظر: الدولة العربية الإسلامية (ص ٤٤) التراتيب الإدارية للكتاني (١/ ٢٢٧).
(٦) انظر: الدولة العربية الإسلامية (ص ٤٤).
(٧) انظر: زاد المعاد (٣/ ٥٩٥).

أواخر سنة تسع [١].

لم يحج النبي ﷺ من المدينة غير حجته التي كانت في العام العاشر، وعرفت هذه الحجة بحجة البلاغ، وحجة الإسلام، وحجة الوداع، لأنه ﷺ ودّع الناس فيها ولم يحج بعدها، وحجة البلاغ، لأنه ﷺ بلغ الناس شرع الله في الحج قولاً وعملاً، ولم يكن بقي من دعائم الإسلام وقواعده شيء إلا وقد بيّنه، فلما بيّن لهم شريعة الحج ووضحه وشرحه أنزل الله عليه بعرفة: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المَائدة: ٣] ولما نزلت هذه الآية بكى بعض الصحابة ومنهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكأنهم فهموا منها الإشارة إلى قرب أجل الرسول ﷺ، ولما قيل لسيدنا عمر: ما يبكيك؟ قال: إنه ليس بعد الكمال إلا النقصان [٢]، وكان عدد الذي مع رسول الله أكثر من مائة ألف [٣].

أولاً: كيف حج النبي ﷺ؟:

عزم رسول الله ﷺ على الحج، وأعلم الناس أنه حاج، فتجهزوا، وذلك في شهر ذي القعدة سنة عشر للخروج معه، وسمع بذلك من حول المدينة، فقدموا يريدون الحج مع الرسول ﷺ ووافاه في الطريق خلائق لا يحصون، فكانوا من بين يديه ومن خلفه، وعن يمينه، وعن شماله، مد البصر، وخرج من المدينة نهاراً بعد الظهر لخمس بقين من ذي القعدة يوم السبت، بعد أن صلّى الظهر بها أربعاً [٤].

وخطبهم قبل ذلك خطبة علّمهم فيها الإحرام وواجباته وسننه ثم سار وهو يلبّي، ويقول: «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك» [٥] والناس معه يزيدون وينقصون، وهو يقرهم،ولا ينكر عليهم، ولزم تلبيته ثم مضى حتى نزل بـ (العرج) ثم سار حتى أتى (الأبواء) فوادي (عسفان) في (سرف) ثم نهض إلى أن نزل بـ (ذي طوى) فبات بها ليلة الأحد، لأربع خلون من ذي الحجة، وصلّى بها الصبح، ثم اغتسل من يومه، ونهض إلى مكة فدخلها نهاراً من أعلاها، ثم سار، حتى دخل المسجد، وذلك ضحى [٦]، فاستلم الركن [٧] فرمل ثلاثاً [٨]، ومشى أربعاً ثم نفذ إلى مقام إبراهيم [٩] عليه السلام

(١) انظر: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية (ص ٦٨٠)، زاد المعاد (٣/ ٥٩٥).
(٢) انظر: السيرة النبوية لأبي شهبة (٢/ ٥٧٥).
(٣) انظر: السيرة النبوية للندوي (ص ٣٨٦).
(٤) انظر: صحيح السيرة النبوية (ص ٦٦٤)، السيرة النبوية للندوي، (ص ٣٨٦).
(٥) البخاري، كتاب الحج، باب التلبية (رقم ١٥٤٩).
(٦) انظر: السيرة النبوية للندوي (ص ٣٨٧).
(٧) مسلم، كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ (رقم ١٢٢٧).
(٨) الرمل: إسراع المشي مع تقارب الخطا.
(٩) نفذ إلى مقام إبراهيم: أي بلغه ماضياً في زحام.

فقرأ: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [البَقَرَة: ١٢٥] . فجعل المقام بينه وبين البيت، وكان يقرأ في الركعتين قل هو الله أحد وقل يا أيها الكافرون، ثم رجع إلى الركن فاستلمه، ثم خرج من الباب إلى الصفا، فلما دنا من الصفا قرأ: ﴿۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البَقَرَة: ١٥٨] وأبدأ بما بدأ الله به فبدأ بالصفا. فرقى عليه، حتى إذا رأى البيت فاستقبل القبلة فوحد الله وكبّره. وقال «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، لا إله إلا الله وحده، أنجز وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده»، ثم دعا بين ذلك، قال مثل هذه ثلاث مرات، ثم نزل إلى المروة، حتى إذا انصبت [١] قدماه في بطن الوادي سعى، حتى إذا صعدتا [٢] مشى أتى المروة، ففعل على المروة كما فعل على الصفا، حتى إذا كان آخر طوافه على المروة فقال: «لو أني استقبلت من أمري ما استدبرت لم أَسُق الهدي، وجعلتها عمرة، فمن كان منكم ليس معه هدي فليحل، وليجعلها عمرة» [٣].

فقام سراقة بن مالك بن جعشم فقال: يا رسول الله! ألعامنا هذا أم لأبد؟ فشبَّك رسول الله ﷺ أصابعه واحدة في الأخرى. وقال: «دخلت العمرة في الحج» مرتين «لا بل لأبد أبد» [٤] وأقام بمكة أربعة أيام: يوم الأحد، والإثنين، والثلاثاء، والأربعاء. فلما كان يوم الخميس ضحى، توجّه رسول الله ﷺ بمن معه من المسلمين إلى منى ونزل بها، فصلى بها الظهر والعصر، والمغرب والعشاء والفجر ثم مكث قليلاً حتى طلعت الشمس، وأمر بقبة من شعر تضرب له بنمرة [٥]، فسار رسول الله ﷺ ولا تشك قريش إلا أنه واقف عند المشعر الحرام [٦]، كما كانت قريش تصنع في الجاهلية، فأجاز [٧] رسول الله ﷺ حتى أتى عرفة، فوجد القبة ضربت له بنمرة: فنزل بها، حتى إذا زاغت الشمس أمر بالقصواء، فَرُحلت له، فأتى بطن الوادي [٨]، فخطب الناس وقال: «إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع، ودماء الجاهلية موضوعة، وإن أول دم أضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث، كان مسترضعاً في بني

---

(١) انصبت قدماه: انحدرت.

(٢) صعدتا: ارتفعت قدماه عن بطن الوادي.

(٣) مسلم، كتاب الحج، باب حجة النبي (رقم ١٢١٨).

(٤) مسلم، كتاب الحج، باب حجة النبي (رقم ١٢١٨)، صحيح السيرة النبوية (ص ٦٥٩).

(٥) نمرة: موضع بجنب عرفات وليست من عرفات.

(٦) المشعر الحرام: جبل بمزدلفة كانت قريش تقف عليه، ولا تقف مع العرب في عرفات، ولكن رسول الله ﷺ وقف في عرفات.

(٧) فأجاز: جاوز المزدلفة ولم يقف بها، وإنما توجه إلى عرفات.

(٨) بطن الوادي: وادي عرنة، وليست عرنة من أرض عرفات عند العلماء إلا مالكاً قال من عرفات.

سعد فقتلته هذيل، وربا الجاهلية موضوع، وأول ربا أضع ربانا، ربا العباس بن عبد المطلب، فإنه موضوع كله، فاتقوا الله في النساء، فإنكم أخذتموهن بأمان الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، ولكم عليهن أن لا يُوطئن فرشكم أحداً تكرهونه [١]، فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضرباً غير مبرح [٢]، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف، وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به، كتاب الله، وأنتم تسألون عني، فما أنتم قائلون؟» قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت. فقال بإصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكثها [٣]، إلى الناس: «اللهم اشهد، اللهم اشهد»، ثلاث مرات [٤]، ثم أذن ثم أقام فصلّى الظهر، ثم أقام فصلّى العصر، ولم يصلِّ بينهما شيئاً، ثم ركب رسول الله ﷺ حتى أتى الموقف، فجعل بطن ناقته القصواء إلى الصخرات [٥] وجعل حبل المشاة بين يديه [٦]، واستقبل القبلة، فلم يزل واقفاً حتى غربت الشمس، وذهبت الصفرة قليلاً حتى غاب القرص [٧]، وذكر أبو الحسن الندوي: لما فرغ رسول الله ﷺ من صلاته والتضرع والابتهال إلى غروب الشمس، وكان في دعائه رافعاً يديه إلى صدره، كاستطعام المسكين، يقول فيه: «اللهم إنك تسمع كلامي، وترى مكاني، وتعلم سري وعلانيتي، لا يخفى عليك شيء من أمري، أنا البائس الفقير، المستغيث المستجير، والوجل المشفق، المقر المعترف بذنوبي، أسألك مسألة المسكين وأبتهل إليك ابتهال المذنب الذليل، وأدعوك دعاء الخائف الضرير، من خضعت لك رقبته وفاضت لك عيناه، وذل جسده، ورغم أنفه لك، اللهم لا تجعلني بدعائك رب شقيا، وكن بي رؤوفاً رحيما، يا خير المسؤولين، ويا خير المعطين» [٨].

وهنالك أنزلت عليه: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المَائدة: ٣] . فلما غربت الشمس أفاض من عرفة، وأردف أسامة بن زيد خلفه، ودفع رسول الله ﷺ وقد شنق للقصواء زمام ناقته، حتى أن رأسها ليصيب طرف رحله، وهو يقول: «أيها الناس عليكم السكينة» [٩]، وكان يلبي في مسيره ذلك، لا يقطع التلبية حتى أتى المزدلفة، وأمر المؤذن بالأذان فأذن، ثم أقام، فصلى المغرب قبل حط الرحال وتبريك الجمال، فلما حطوا رحالهم، أمر فأقيمت

---

(١) أي لا يجوز للمرأة أن تدخل أحداً إلى بيت زوجها من قريب أو بعيد أو امرأة إلا من يرضى عنه زوجها.
(٢) الضرب المبرح: الشديد الشاق.
(٣) ينكثها: يقلبها ويردها إلى الناس مشيراً إليهم.
(٤) انظر: صحيح السيرة النبوية (ص ٦٦١)، مسلم كتاب الحج، (رقم ١٢١٨).
(٥) الصخرات: صخرات في أسفل جبل الرحمة، وهو الجبل الذي بوسط أرض عرفات.
(٦) جبل المشاة: مجتمعهم. وقيل: جبل المشاة: ومعناه طريقهم حيث تسلك الرجالة.
(٧) حتى غاب قرص الشمس: حتى غابت الشمس وذهبت الصفرة.
(٨) انظر: السيرة النبوية للندوي (ص ٣٨٩).
(٩) انظر: صحيح السيرة النبوية (ص ٦٦٢).

الصلاة ثم صلى العشاء، ثم نام حتى أصبح، فلما طلع الفجر صلاها في أول الوقت، ثم ركب حتى أتى المشعر الحرام، فاستقبل القبلة، وأخذ في الدعاء والتضرع، والتكبير والتهليل والذكر، حتى أسفر جدا، وذلك قبل طلوع الشمس، ثم سار من مزدلفة، مردفاً للفضل بن عباس، وهو يلبي في مسيره، وأمر ابن عباس أن يلتقط له حصى الجمار سبع حصيات، فلما أتى بطن محسر، حرك ناقته، وأسرع السير [١]، فإن هنالك أصاب الفيل العذاب، حتى أتى منى، فأتى جمرة العقبة، فرماها راكباً بعد طلوع الشمس، وقطع التلبية [٢]، ثم رجع إلى منى، فخطب الناس خطبة بليغة، أعلمهم فيها بحرمة يوم النحر وتحريمه، وفضله عند الله، وحرمة مكة على جميع البلاد، وأمر بالسمع والطاعة لمن قادهم بكتاب الله، وأمر الناس بأخذ مناسكهم عنه، وأمر الناس ألا يرجعوا بعده كفاراً، يضرب بعضهم رقاب بعض وأمر بالتبليغ عنه [٣]، وقد جاء في هذه الخطبة: «أتدرون أي يوم هذا؟» قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أن سيسميه بغير اسمه فقال: «أليس ذو الحجة؟» قلنا: بلى، قال: «أي بلد هذا؟» قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: «أليست بالبلدة الحرام؟» قلنا: بلى، قال: «فإن دماءكم وأموالكم ـ وفي رواية أعراضكم ـ عليكم حرام كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا إلى يوم تلقون ربكم، ألا هل بلغت؟» قالوا: نعم، قال: «اللهم اشهد فليبلغ الشاهد الغائب، فرب مبلِّغ أوعى من سامع، فلا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض» [٤].

ثم انصرف إلى المنحر بمنى، فنحر ثلاثاً وستين بدنة بيده، وكان عدد هذا الذي نحره عدد سنين عمره، ثم أمسك وأمر علياً أن ينحر ما بقي من المائة، فلما أكمل ﷺ نحره استدعى الحلاق، فحلق رأسه، وقسم شعره بين من يليه، ثم أفاض إلى مكة راكباً، وطاف طواف الإفاضة [٥]، فصلى بمكة الظهر، فأتى بني عبد المطلب يسقون على زمزم، فقال: «انزعوا بني عبد المطلب، فلولا أن يغلبكم الناس على سقايتكم لنزعت معكم»، فناولوه دلواً فشرب منه [٦]، ثم رجع إلى منى من يومه ذلك، فبات بها، فلما أصبح انتظر زوال الشمس، فلما زالت مشى من رحله إلى الجمار، فبدأ بالجمرة الأولى ثم الوسطى، ثم الجمرة الثالثة، وهي جمرة العقبة، وخطب الناس بمنى خطبتين: خطبة يوم النحر، وخطبة ثانية في ثاني يوم النحر [٧]، وهو يوم النفر الأول، وهي تأكيد لبعض ما جاء في خطبتي عرفة، ويوم النحر بمنى، والواقع أن تكرار

(١) انظر: صحيح السيرة (ص ٦٦٢)، السيرة النبوية للندوي (ص ٣٨٩).
(٢) انظر: صحيح السيرة النبوية للندوي (ص ٣٨٩).
(٣) انظر: صحيح السيرة النبوية للندوي (ص ٣٩٠).
(٤) انظر: السيرة النبوية الصحيحة (٢/ ٥٥٠)، السيرة النبوية لأبي شهبة (٢/ ٥٧٨).
(٥) انظر: السيرة النبوية للندوي (ص ٣٩٠).
(٦) مسلم، كتاب الحج (رقم ١٢١٨)، صحيح السيرة النبوية (ص ٦٦٣).
(٧) انظر: السيرة النبوية للندوي (ص ٣٩٠).

الخطب في حجة الوداع كان أمراً لا بدّ منه لحاجة المسلمين، فهي الحجة الوحيدة التي حجها الرسول ﷺ، وقد عزّ فيها الإسلام والمسلمون، وأصبحت كلمتهم هي النافذة في الجزيرة كلها، كما كانت الوداع الأخير، فما أشد حاجة المسلمين في هذا المشهد العظيم إلى التذكير والنصح والتوصية، وإلى تكرار القول والتأكيد عليه حتى يعوه ويحفظوه ولا ينسوه، وإلى تقريرهم بإبلاغ الرسالة وأداء الأمانة [١].

هذا وقد تأخر رسول الله ﷺ حتى أكمل رمي أيام التشريق الثلاثة، ثم نهض إلى مكة، فطاف للوداع ليلاً سحراً، وأمر الناس بالرحيل، وتوجه إلى المدينة [٢]. وفي طريق العودة من حجة الوداع خطب الرسول ﷺ في غدير خُمّ قريباً من الجحفة في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة، وقد جاء في هذه الخطبة: «أما بعد، ألا أيها الناس، فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب وأنا تارك فيكم ثقلين، أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله، واستمسكوا به»، فحثّ على كتاب الله ورغب فيه، ثم قال: «وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي» [٣]، وفي رواية: .... أخذ بيد علي رضي الله عنه وقال: «من كنت وليه، فهذا وليه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه» [٤]، وفي رواية: «من كنت مولاه فعلي مولاه» [٥]، وكان علي قد أقبل من اليمن وشهد حجة الوداع [٦]، وقد اشتكى بعض الجند علياً وأنه اشتد في معاملتهم وكان قد استرجع منهم حللاً وزعها عليهم نائبه مكانه، فأوضح لهم النبي ﷺ في غدير ضم مكانة عليٍّ ونبّه على فضله لينتهوا عن الشكوى [٧]، فقد كان الحق مع علي في إرجاع ما أعطاهم نائبه في غيبته لأنها أموال صدقات وخمس [٨].

ولما أتى رسول الله ﷺ ذا الحليفة بات بها، فلما رأى المدينة كبّر ثلاث مرات، وقال: «لا إله إلا الله وحده، لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيءٍ قدير، آيبون تائبون، عابدون، ساجدون، لربنا حامدون، صدق الله وعده، نصر عبده، وهزم الأحزاب وحده»، ثم دخلها نهاراً [٩].

---

(١) انظر: السيرة النبوية لأبي شهبة (٢/ ٥٧٩)، المستفاد من قصص القرآن (٢/ ٥١٥).
(٢) انظر: السيرة النبوية للندوي (ص ٣٩٠).
(٣) مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل علي بن أبي طالب (رقم ٢٠٤٨).
(٤) النسائي في خصائص علي، ص ٢١، صحيح السيرة النبوية (ص ٦٨٨).
(٥) انظر: السيرة النبوية الصحيحة (٢/ ٥٥٠).
(٦) انظر: البداية والنهاية (٥/ ٢٠٩).
(٧) انظر: السيرة النبوية الصحيحة (٢/ ٥٥١).
(٨) انظر: السيرة النبوية لأبي شهبة (٢/ ٥٨١).
(٩) انظر: السيرة النبوية للندوي، ص ٣٩١ نقلاً عن زاد المعاد (١/ ٢٤٩).

ثانياً: الدورس والعِبَر والفوائد:

١ ـ مرحلة النضج التي وصلت إليها الأمة:

وصلت الأمة الإسلامية في السنة العاشرة مرحلة من النضج متقدمة وكان ذلك يقتضي لمسات أخيرة، فوسّع ﷺ في العام التاسع والعاشر من الهجرة دائرة التلقي المباشر من خلال استقباله الوفود ومن خلال رحلة الحج، فأوجد قاعدة عريضة تحمل دعوته وقد تلقت عنه مباشرة، وكان لذلك أكبر الأثر في أن تبقى رحى الإسلام دائرة إلى الأبد [١]، ففي حجة الوداع كانت اللمسات الأخيرة في تربية الأفراد والمجتمع على كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ.

٢ ـ تربية الأفراد على قطع الصلة بالجاهلية والابتعاد عن الذنوب:

أ ـ فقد أشار ﷺ إلى أهمية قطع المسلم علاقته بالجاهلية أوثانها، وثاراتها، ورباها، وغير ذلك، ولم يكن حديثه ﷺ مجرد توصية بل كان قراراً أعلن عنه للملأ كله لأولئك الذين كانوا من حوله، والأمم التي ستأتي من بعده وهذه هي صيغة القرار: «ألا إن كل شيء من أمر الجاهلية، تحت قدمي موضوع»، دماء الجاهلية موضوعة. . . . وربا الجاهلية موضوع [٢]، لأن الحياة الجديدة التي يحياها المسلم بعد إسلامه حياة لا صلة لها برجس الماضي وأدرانه [٣].

ب ـ وقد حذّر ﷺ من الذنوب والخطايا والآثام، ما ظهر منها وما بطن، لأن الذنوب والخطايا تفعل بالفرد ما لا يفعله العدو بعدوه فهي سبب مصائبه في الدنيا: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشّورى: ٣٠] فترديه في نار جهنم في الآخرة، وتفعل في المجتمعات ما لا يفعله السيف، وأعلن رسول الله ﷺ أنه لا يقصد بالخطايا العودة إلى عبادة الأصنام، لأن العقول التي تفتحت على التوحيد ترفض أن تعود إلى الشرك الظاهر، ولكن الشيطان لا ييأس من أن يجد طريقه إليها من ثغرات الخطايا والذنوب، حتى تردى صاحبها في المهاوي [٤].

٣ ـ تربية المجتمع على مبادىء أساسية:

أ ـ الأخوة في الله هي العروة الوثقى التي تربط بين جميع المسلمين ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحُجرَات: ١٠] فقد قال ﷺ: «أيها الناس اسمعوا قولي واعقلوه، تعلمن أن كل مسلم أخ للمسلم، وأن المسلمين إخوة فلا يحل لامرىءٍ من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه، فلا تظلمن أنفسكم». وقال: «إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم، كحرمة

---

(١) انظر: الأساس في السنة (٢/ ١٠٥٤).
(٢) انظر: فقه السيرة للبوطي (ص ٣٣١).
(٣) انظر: قراءة سياسية للسيرة النبوية، محمد قلعجي (ص ٣٠٣).
(٤) انظر: قراءة سياسية للسيرة النبوية (ص ٣٠٣).

يومكم هذا في بلدكم هذا حتى تلقوا ربكم فيسألكم عن أعمالكم، ألا فلا ترجعوا بعدي ضلالاً يضرب بعضكم رقاب بعض».

ب - الوقوف بجانب الضعيف حتى لا يكون هذا الضعف ثغرة في البناء الاجتماعي، فأوصى ﷺ في خطبته بالمرأة والرقيق على أنهما نموذجان عن الضعفاء [١]، فقد شدّد ﷺ في وصيته على الإحسان إلى الضعفاء [٢]، وأوصى خيراً بالنساء، وأكد في كلمة مختصرة جامعة القضاء على الظلم البائد للمرأة في الجاهلية، وتثبيت ضمانات حقوقها وكرامتها الإنسانية التي تضمنتها أحكام الشريعة الإسلامية [٣].

جـ - التعاون مع الدولة الإسلامية على تطبيق أحكام الإسلام، والالتزام بشرع الله، ولو كان الحاكم عبداً حبشياً، فإن في ذلك الصلاح والفلاح والنجاة في الدنيا والآخرة [٤]، فقد بيّن ﷺ العلاقة بين الحاكم والمحكوم بأنها تعتمد على السمع والطاعة ما دام الرئيس يحكم بكتاب الله وسنّة رسوله ﷺ، فإذا مال عنهما فلا سمع ولا طاعة، فالحاكم أمين من قبل المسلمين على تنفيذ حكم الله تعالى [٥].

د - المساواة بين البشر: فقد قال ﷺ: «لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لأعجمي على عربي ولا لأبيض على أسود، ولا لأسود على أبيض إلا بالتقوى، الناس من آدم وآدم من تراب»، حيث حدد أن أساس التفاضل لا عبرة فيه لجنس، ولا لون، ولا وطن، ولا قومية، . . . . وإنما أساس التفاضل قيمة خلقية راقية ترفع مكانة الإنسان إلى مقامات رفيعة جداً [٦].

هـ - تحديد مصدر التلقي: وقد حدّد ﷺ مصدر التلقي والطريقة المثلى لحل مشاكل المسلمين التي قد تعترض طريقهم في الرجوع إلى مصدرين لا ثالث لهما، ضمن لهم بعد الاعتصام بهما، الأمان من كل شقاء وضلال، وهما: كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ، وإنك لتجده يتقدم بهذا التعهد والضمان إلى جميع الأجيال المتعاقبة من بعده، ليبيّن للناس أن صلاحية التمسك بهذين الدليلين ليست وقفاً على عصر دون آخر، وأنه لا ينبغي أن يكون لأي تطور حضاري أو عرف زمني أي سلطان أو تغلب عليهما [٧].

---

(١) انظر: قراءة سياسية للسيرة النبوية (ص ٣٠٤).
(٢) انظر: دولة الرسول من التكوين إلى التمكين (ص ٥٧٥).
(٣) انظر: فقه السيرة للبوطي (ص ٣٣٢).
(٤) انظر: دولة الرسول من التكوين إلى التمكين (ص ٥٧٦).
(٥) انظر: فقه السيرة للبوطي (ص ٣٣٣).
(٦) انظر الموسوعة في سماحة الإسلام، عرجون (٢/ ٨٧٦).
(٧) انظر: فقه السيرة للبوطي (ص ٣٣٣).

لقد وصف ﷺ الداء والدواء ووضع العلاج لكل المشكلات بالالتزام التام بما جاء من أحكام في كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ: «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً: كتاب الله وسنتي». هذا هو العلاج الدائم، وقد كرّر ﷺ نداءه للبشرية عامة عبر الأزمنة والأمكنة بوجوب الاهتداء بالكتاب والسنّة في حل جميع المشكلات التي تواجه البشرية، فإن الاعتصام بهما يجنب الناس من الضلال، ويهديهم إلى التي هي أقوم في الحاضر والمستقبل. لقد اجتازت تعاليم رسول الله ﷺ وهديه حدود الجزيرة، واخترقت حواجز الزمن وأسوار القرون، وظل يتردد صداها حتى يوم الناس هذا، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فلم يكن يخاطب سامعيه فيقول لهم: أيها المؤمنون، أيها المسلمون، أيها الحجاج بل كان يقول لهم «يا أيها الناس» وقد كرّر نداءه إلى الناس كافة مرات متعددة دون أن يخصصه بجنس أو بزمان أو مكان أو لون، فقد بعثه الله للناس كافة وأرسله رحمة للعالمين [١].

٤ ـ الأساليب التعليمية من خطب حجة الوداع:

أ ـ التعليم بمباشرة ما يراد تعليمه:

علّم رسول الله ﷺ صحابته الكرام مناسك الحج بصورة عملية، بأن قام بها وباشرها فعلاً، ولم يكتف بأن يعلمها لهم قولاً، ولذلك قال لهم: «خذوا عني مناسككم» [٢]، وعلى هذا فيستحسن من الدعاة وهم يعلّمون الناس معاني الإسلام أن يعلموهم هذه المعاني، والمطلوبات الشرعية، أو بعضها في الأقل بصورة عملية كالوضوء، والصلاة، وتعليم قراءة القرآن بصورة سليمة [٣].

ب ـ تكرار الخطب:

لاحظنا أن النبي ﷺ كرّر خطبه، فقد خطب في عرفة، وفي منى مرتين، كما كرّر معاني بعض هذه الخطب، فعلى الدعاة أن يقتدوا برسول الله ﷺ، فيكرروا خطبهم، ويكرروا بعض معانيها التي يرون حاجة لتكرارها، حتى يستوعبها السامعون ويحفظوها، لأن القصد من خطب الخطيب إفادة السامعين بما يقول، فإذا كانت الفائدة لا تحصل أو تتم إلا بتكرار الخطب من حيث عددها، أو بتكرارها من حيث تكرار معانيها، فليكررها الداعية، ولا يكون حرصه على أن يأتي بجديد في خطبة ما دام يرى الحاجة في ترسيخ معانٍ معينة في أذهان السامعين. إن الداعية همّه أن يفيد السامعين وليس همه أن يظهر براعته في الخطب، وفي تنوع معانيها دون نظر ولا اعتبار إلى ما يحتاجه السامعون، ودون اعتبار لفهمهم هذه المعاني واستيعابهم لها [٤].

---

(١) انظر: الجانب السياسي في حياة الرسول، (ص ١٣١)، أحمد محمد باشميل.
(٢) انظر: السيرة النبوية الصحيحة (٢/ ٥٤٩)، مسلم (٢/ ٩٤٢ رقم ١٢٩٧).
(٣) انظر: المستفاد من قصص القرآن (٢/ ٥١٨).
(٤) انظر: المستفاد من قصص القرآن (٢/ ٥١٧، ٥١٨).

جـ ـ فليبلغ الشاهد الغائب:

وفي هذا توجيه نبوي كريم لكي تعم الفائدة أكبر عدد ممكن من الناس، فهذا من باب التعاون على الخير، لأن الغائب قد يكون أوعى للعلم، وأكثر فهماً له من الحاضر الذي سمع، وعلى الدعاة والعلماء عندما يلقون درساً أو محاضرة لإخوانهم أو لعامة الناس، فمن المستحسن أن يقولوا للحاضرين: فليبلغ الحاضر منكم الغائب بما سمعه.

د ـ جلب انتباه الحاضر لما يقوله الخطيب:

ويستفاد من سؤال النبي ﷺ الحاضرين عن اسم اليوم الذي هم فيه، وكذا عن الشهر والبلد ـ وهم يعرفونها ـ مما يجلب انتباههم إلى ما قد عسى أن يريده بطرح هذه الأسئلة فيصغون إليه إصغاء تاماً، قال القرطبي: سؤال النبي ﷺ عن الثلاثة: أي عن اليوم والشهر والبلد، وسكوته بعد كل سؤال منها كان لاستحضار فهومهم، وليقبلوا عليه بكليتهم، وليستشعروا عظمة ما يخبرهم عنه. . . . فعلى العلماء والدعاة أن يقدموا بين يدي ما يقولونه ما يدعو إلى جلب انتباه السامعين ويشدهم إلى كلامهم [١].

٥ ـ بعض الأحكام الفقهية المستنبطة من حجة الوداع:

جاءت حجة الوداع حافلة بالأحكام الشرعية وخاصة ما يتعلق بالحج وبالوصايا والأحكام التي وردت في خطبة عرفات، لذلك اهتم العلماء بحجة الوداع اهتماماً كبيراً واستنبطوا منها الكثير من أحكام المناسك وغيرها، مما تحفل به كتب الفقه وكتب شروح الحديث وخصص بعضهم مؤلفات مستقلة في حجة الوداع [٢].

ونشير إلى بعض هذه الأحكام باختصار شديد، فمن هذه الأحكام:

أ ـ إفطار الحاج يوم عرفة:

قالت ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها زوج النبي ﷺ: إن الناس شكوا في صيام رسول الله ﷺ يوم عرفة، فأرسلت إليه بحلاب [٣]، وهو واقف في الموقف فشرب منه، والناس ينظرون [٤].

ب ـ كيف يفعل بمن تُوفي محرما؟

قال ابن عباس رضي الله عنهما: بينما رجل واقف مع رسول الله ﷺ بعرفة إذ وقع عن راحلته، فوقصته أو قال فأوقصته [٥]، فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال: «اغسلوه بماء وسدر وكفّنوه في ثوبين،

---

(١) انظر: المستفاد من قصص القرآن، (٢/ ٥١٨).

(٢) انظر: السيرة النبوية الصحيحة (٢/ ٥٤٩)، ما ألفه الألباني «حجة النبي» وغيره.

(٣) الإناء الذي يحلب فيه.

(٤) البخاري، كتاب الصوم، باب صوم يوم عرفة وحديث (رقم ١٩٨٩).

(٥) فوقصته: قتلته في الحال.

ولا تحنطوه [١]، ولا تخمروا [٢] رأسه فإنه يبعث يوم القيامة ملبياً» [٣].

ج ـ هل يجوز الحج عن الغير؟

قال ابن عباس ﷺ: كان الفضل رديف رسول الله ﷺ، فجاءت امرأة من خشعم، فجعل الفضل ينظر إليها وتنظر إليه، وجعل النبي ﷺ يصرف وجه الفضل إلى الشق الآخر، فقالت: يا رسول الله إن فريضة الله على عباده في الحج أدركت أبي شيخاً كبيراً لا يثبت على الراحلة. أفأحج عنه؟ قال: «نعم». وذلك في حجة الوداع [٤].

د ـ منهج التيسير: لا حرج، لا حرج:

قال عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ: إن رسول الله ﷺ وقف في حجة الوداع بمنى للناس يسألونه فجاءه رجل فقال: لم أشعر فحلقت قبل أن أذبح، فقال: «اذبح ولا حرج»، فجاء آخر فقال: لم أشعر فنحرت قبل أن أرمي قال: «ارم ولا حرج»، فما سُئل النبي ﷺ عن شيء قُدم ولا أُخر إلا قال: «افعل ولا حرج».

هذه بعض الأحكام المختصرة ومن أراد المزيد فليراجع ما كتبه الألباني عن حجة الوداع، فقد لخص الحجة في اثنتين وسبعين مسألة [٥]، وكتاب (الوصية النبوية للأمة الإسلامية) للدكتور فاروق حمادة فقد جمع من المصادر الأدبية والحديثية وكتب أهل السير ثمانية وثلاثين بنداً ثم قام بتحليلها وتخريجها وتوثيق نصوصها بميزان الجرح والتعديل الذي اعتمده أئمة المسلمين منذ الصدر الأول لأن الأمر دين وشرع كما قال، وقد أجاد وأفاد [٦].

٦ ـ فوائد في تسمية أيام الحج:

كان يقال لليوم السابع من ذي الحجة يوم الزينة، لأنه يزين فيه البُدن التي تهدى بالجلال وغيرها، واليوم الثامن يقال له: يوم التروية لأنهم كانوا يروون فيه إبلهم من الماء ويحملون منه ما يحتاجون إليه حال الوقوف وما بعده، لأن هذه الأماكن لم يكن فيها يومئذٍ آبار ولا عيون، أما الآن ففيها الماء الكثير والحمد لله، واليوم التاسع: يوم عرفة للوقوف فيه بها. واليوم العاشر: يوم النحر ويوم الأضحى ويوم الحج الأكبر، واليوم الحادي عشر: يوم القر لأنهم يقرون فيه، ويقال له: يوم الرؤوس لأنهم يأكلون فيه رؤوس الأضاحي، وهو أول يوم التشريق. وثاني أيام

(١) لا تحنطوه: لا تضعوا عليه من الطيب شيئاً.
(٢) لا تخمروا: لا تغطوا رأسه.
(٣) البخاري، كتاب الجنائز، باب الكفن في ثوبين (رقم ١٢٦٥). ملبياً: يحشر يوم القيامة على الهيئة التي مات عليها.
(٤) البخاري في الحج، باب وجوب الحج وفضله (رقم ١٥١٣).
(٥) انظر: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية (ص ٦٨٣).
(٦) المصدر نفسه، (ص ٦٨١).

التشريق يقال له: يوم النفر الأول لجواز الخروج فيه إلى مكة لمن يريد التعجيل، وثالث أيام التشريق يقال له: يوم النفر الثاني [١] قال عزّ شأنه: ﴿۞ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِى يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [البَقَرَة: ٢٠٣] .

* * *

المبحث الثامن

مرض رسول الله ﷺ ووفاته

إن الأرواح الشفافة الصافية القوية لتدرك بعض ما يكون مخبوءاً وراء حجب الغيب بقدرة الله تعالى، والقلوب الطاهرة المطمئنة لتحدث صاحبها بما عسى أن يحدث له فيما يستقبل من الزمان، والعقول الذكية المستنيرة بنور الإيمان لتدرك ما وراء الألفاظ والأحداث من إشارات وتلميحات، ولنبينا محمد ﷺ من هذه الصفات الحظ الأوفر، وهو منها بالمحل الأرفع الذي لا يُسامَى ولا يُطَاوَل [٢].

وقد جاءت بعض الآيات القرآنية مؤكدة على حقيقة بشرية النبي ﷺ، وأنه كغيره من البشر سوف يذوق الموت ويعاني سكراته، كما ذاقه من قبل إخوانه من الأنبياء، ولقد فهم ﷺ من بعض الآيات اقتراب أجله، وقد أشار ﷺ في طائفة من الأحاديث الصحيحة إلى اقتراب وفاته، منها ما هو صريح الدلالة على الوفاة ومنها ما ليس كذلك، حيث لم يشعر ذلك منها إلا الآحاد من كبار الصحابة الأجلاء كأبي بكر والعباس ومعاذ ﷺ [٣].

أولاً: الآيات والأحاديث التي أشارت إلى وفاته ﷺ:

١ ـ الآيات:

أ ـ قال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ ۖ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [آل عِمرَان: ١٤٤] .

قال القرطبي: فأعلم الله تعالى في هذه الآية أن الرسل ليست بباقية في قومها أبداً، وأنه يجب التمسك بما أتت به الرسل، وإن فقد الرسل بموت أو قتل [٤].

ب ـ قال تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزُّمَر: ٣٠] .

---

(١) انظر: السيرة النبوية لأبي شهبة (٢/ ٥٧٩).
(٢) انظر: السيرة النبوية لأبي شهبة (٢/ ٥٨٧).
(٣) انظر: مرض النبي ووفاته، خالد أبو صالح (ص ٣٣).
(٤) انظر: تفسير القرطبي (٤/ ٢٢٢).

قال ابن كثير: هذه الآية من الآيات التي استشهد بها الصديق ﷺ عند موت الرسول ﷺ حتى تحقق الناس موته [١].

جـ ـ قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ أَفَإِين مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٤] . ثم أعقب ذلك ببيان أن الموت حتم لازم وقدر سابق فقال ﷻ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥] . فهذه الآيات صريحة ونصت على وفاته ﷺ، وهناك بعض الآيات أشارت إلى ذلك وإن لم تصرح منها:

ـ قال تعالى: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ۝٤ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾ [الضحى: الآيتان ٤، ٥] .

ـ قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ۝٢٧﴾ [الرَّحمٰن: ٢٦ ـ ٢٧] .

ـ قال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٨٨] . فهذه الآيات تبيّن أن جميع أهل الأرض ستمضي فيهم سنّة الله في موت خلقه، لن يتخلف منهم أحداً أبداً.

د ـ قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] .

وقد بكى عمر بن الخطاب حين نزلت الآية فقيل: ما يبكيك؟ فقال: إنه ليس بعد الكمال إلا النقصان!! وكأنه استشعر وفاة النبي ﷺ [٢].

هـ ـ قال تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر: الآيات ١ ـ ٣] .

فقد سأل عمر ﷺ ابن عباس عن هذه الآية: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾ .

فقال: أجل رسول الله ﷺ أعلمه إياه، فقال: ما أعلم منها إلا ما تعلم [٣]، وفي رواية الطبراني قال ابن عباس: نعيت إلى رسول الله ﷺ نفسه حين نزلت فأخذ بأشد ما كان قط اجتهاداً في أمر الآخرة [٤].

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٤/ ٥٣).

(٢) انظر: البداية والنهاية (٥/ ١٨٩).

(٣) البخاري، كتاب المغازي (رقم (٤٤٣٠).

(٤) مجمع الزوائد (٩/ ٢٦) رواه الطبراني في الكبير والأوسط وأحد أسانيده رجاله ثقات.

٢ ـ أما الأحاديث التي أشارت إلى ذلك:

أ ـ قالت عائشة رضي الله عنها: اجتمع نساء رسول الله ﷺ عنده، لم يغادر منهن امرأة، فجاءت فاطمة تمشي لا تخطىء مشيتها مشية أبيها فقال: «مرحباً يا بنيتي»، فأقعدها يمينه أو شماله، ثم سارَّها فبكت، ثم سارّها فضحكت. فقلت لها: خصك رسول الله بالسرار وأنت تبكين؟ فلما أن قامت قلت لها: أخبريني ما سارَّك؟ فقالت: ما كنت لأفشي سر رسول الله ﷺ فلما توفي قلت لها: أسألك لما لي عليك من الحق لما أخبرتيني. قالت: أما الآن فنعم، قالت: سارني في الأول قال لي: «إن جبريل كان يعارضني في القرآن كل سنة مرة، وقد عارضني في هذا العام مرتين، ولا أرى ذلك الأجل إلا قد اقترب، فاتقي الله واصبري، فإني نعم السلف أنا لك»، فبكيت بكائي الذي رأيت فلما رأى جزعي سارّني قال: «يا فاطمة أما ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين، أو سيدة نساء هذه الأمة» (١).

وفي هذا الحديث دليل قاطع وإشارة واضحة إلى اقتراب أجل رسول الله ﷺ، وأن ساعة الفراق قد بانت قريبة إلا أن النبي ﷺ قد اختص ابنته فاطمة رضي الله عنها بعلم ذلك، ولم يعلم به المسلمون إلا بعد وفاة رسول الله ﷺ (٢).

ب ـ قال جابر رضي الله عنه: رأيت النبي ﷺ يرمي على راحلته يوم النحر ويقول: «لتأخذوا مناسككم فإني لا أدري لعلي لا أحج بعد حجتي هذه» (٣).

قال النووي: فيه إشارة إلى توديعهم وإعلامهم بقرب وفاته ﷺ، وحثهم على الاعتناء بالأخذ عنه وانتهاز الفرصة من ملازمته وتعلم أمور الدين، وبهذا سميت حجة الوداع (٤).

وقال ابن رجب: وما زال ﷺ يعرض باقتراب أجله في آخر عمره، فإنه لما خطب في حجة الوداع قال للناس: «خذوا عني مناسككم فلعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا»، فطفق يودع الناس فقالوا: هذه حجة الوداع (٥).

جـ ـ قال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: خطب رسول الله ﷺ الناس وقال: «إن الله خيَّر عبداً بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ذلك العبد ما عند الله» قال: فبكى أبو بكر فعجبنا لبكائه أن يخبر رسول الله ﷺ عن عبد خُيِّر، فكان رسول الله ﷺ هو المخيَّر وكان أبو بكر

(١) البخاري، كتاب الاستئذان (رقم ٦٢٨٥، ٦٢٨٦).
(٢) انظر: مرض النبي ﷺ ووفاته (ص ٣٥).
(٣) مسلم، كتاب الحج (رقم ١٢٩٧).
(٤) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (٩/ ٤٥).
(٥) انظر: لطائف المعارف (ص ١٠٥).

أعلمنا [١].

قال الحافظ ابن حجر: وكأن أبا بكر ﷺ فهم الرمز الذي أشار به النبي ﷺ من قرينه، ذكره ذلك في مرض موته فاستشعر منه أنه أراد نفسه، فلذلك بكى [٢].

د - قال العباس بن عبد المطلب ﷺ: رأيت في المنام كأن الأرض تنزع إلى السماء [٣] بأشطان [٤] شداد فقصصت ذلك على النبي ﷺ فقال: «ذاك وفاة ابن أخيك» [٥]، وفي هذا الحديث إخبار النبي ﷺ بقرب وفاته، وفيه صدق رؤيا المؤمن، واستشعار بعض الصحابة وفاته عليه الصلاة والسلام [٦].

هـ - وعن معاذ أن النبي ﷺ لما بعثه إلى اليمن خرج راكباً والنبي ﷺ يمشي تحت راحلته فقال: «يا معاذ عسى إنك لا تلقاني بعد عامي هذا، فتمر بقبري ومسجدي» فبكى معاذ لفراقه ﷺ. فقال: «لا تبك يا معاذ فإن البكاء من الشيطان» [٧].

وفي الحديث إخبار النبي ﷺ معاذ بن جبل باقتراب أجله، وأنه يمكن ألا يلقاه بعد عامه هذا، وفيه شدة محبة الصحابة للنبي ﷺ وبكائهم إذا ذكروا فراقه [٨].

ثانياً: مرض الرسول ﷺ:

١ - بدء الشكوى:

رجع رسول الله ﷺ من حجة الوداع في ذي الحجة، فأقام بالمدينة بقيته والمحرم وصفراً، من العام العاشر فبدأ بتجهيز جيش أسامة وأمر عليهم أسامة بن زيد بن حارثة، وأمره أن يتوجه نحو البلقاء وفلسطين، فتجهز الناس وفيهم المهاجرون والأنصار، وكان منهم أبو بكر وعمر، وكان أسامة بن زيد ابن ثماني عشرة سنة، وتكلم البعض في تأميره وهو مولى وصغير السن على كبار المهاجرين والأنصار، فلم يقبل الرسول ﷺ طعنهم في إمارة أسامة [٩]، فقال ﷺ: «إن تطعنوا في إمرته فقد كنتم تطعنون في إمرة أبيه من قبل وأيم الله إن كان لخليقاً للإمرة، وإن كان لمن أحب الناس إليَّ وإن ابنه هذا لمن أحب الناس إليَّ بعده» [١٠]، وبينما الناس يستعدون

---

(١) البخاري، كتاب فضائل الصحابة (رقم ٣٦٥٤).
(٢) فتح الباري (٧/ ١٦).
(٣) تنزع إلى السماء: أي تجذب. وأصل النزع: الجذب والقلع.
(٤) بأشطان شداد: الأشطان جمع شطن وهو الحبل.
(٥) البزار (١/ ٣٩٧)، كشف الأستار (رقم ٨٤٤) مجمع الزوائد (٩/ ٢٤) رجاله ثقات.
(٦) انظر: مرض النبي ووفاته (ص ٣٧).
(٧) مجمع الزوائد (٩/ ٢٢) صححه الألباني في السلسلة الصحيحة (رقم ٢٤٩٧).
(٨) انظر: مرض النبي ووفاته (ص ٣٨).
(٩) انظر: السيرة النبوية الصحيحة (٢/ ٥٥٢).
(١٠) البخاري، كتاب فضائل الصحابة (٤/ ٢١٣).

للجهاد في جيش أسامة ابتدأ رسول الله ﷺ شكواه الذي قبضه الله فيه، وقد حدثت حوادث ما بين مرضه ووفاته منها:

أ ـ النبي في البقيع وزيارته قتلى أُحد وصلاته عليهم:

عن أبي مويهبة مولى رسول الله ﷺ قال: بعثني رسول الله ﷺ من جوف الليل فقال: «يا أبا مويهبة إني قد أُمرت أن أستغفر لأهل البقيع فانطلق معي»، فانطلقت معه فلما وقف بين أظهرهم قال: «السلام عليكم يا أهل المقابر، ليهنأ لكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم، يتبع آخرها أولها، الآخرة شر من الأولى» (١)، ثم أقبل عليَّ فقال: «يا أبا مويهبة، إني قد أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها، ثم الجنة، فخيِّرت وبين ذلك بين لقاء ربي والجنة». قال: فقلت: بأبي أنت وأمي فخذ مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ثم الجنة، قال: «لا والله يا أبا مويهبة، لقد اخترت لقاء ربي والجنة». ثم استغفر لأهل البقيع، ثم انصرف، فبدأ برسول الله ﷺ وجعه الذي قبضه الله فيه (٢)، ومن حديث عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه قال: أن النبي ﷺ خرج يوماً فصلى على أهل أحد صلاته على الميت ثم انصرف إلى المنبر فقال: «إني فرط لكم وأنا شهيد عليكم وإني والله لأنظر إلى حوضي الآن وإني أعطيت مفاتيح خزائن الأرض، أو مفاتيح الأرض، وإني والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي ولكن أخاف عليكم أن تنافسوا فيها» (٣).

ب ـ استئذانه ﷺ أن يمرض في بيت عائشة وشدة المرض الذي نزل به:

قالت عائشة رضي الله عنها: لما ثقل رسول الله ﷺ واشتد به وجعه، استأذن أزواجه في أن يمرَّض في بيتي، فأذنَّ له فخرج النبي ﷺ بين رجلين، تخط رجلاه في الأرض، بين عباس ورجل آخر (٤)، ولما دخل بيته اشتد وجعه. قال: «هريقوا عليَّ من سبع قرب لم تحلل أوكيتهن (٥)، لعلي أعهد إلى الناس»، وأجلس في مخضب (٦)، لحفصة زوج النبي ﷺ، ثم طفقنا نصب عليه تلك القرب، حتى طفق يشير إلينا بيده أن قد فعلتن، ثم خرج إلى الناس (٧)، وقالت عائشة رضي الله عنها ما رأيت رجلاً اشتد عليه الوجع من رسول الله ﷺ (٨)، وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: أتيت النبي ﷺ في مرضه وهو يوعك وعكاً شديداً وقلت: إنك لتوعك وعكاً

---

(١) أي الفتن الآخرة.
(٢) الحاكم في المستدرك (٣/ ٥٥، ٥٦)، صحيح على شرط مسلم وأقره الذهبي.
(٣) البخاري، كتاب الجنائز، باب الصلاة على الشهيد (رقم ١٣٤٤).
(٤) قال ابن عباس: الرجل الآخر هو علي بن أبي طالب.
(٥) جمع الوكاء، وهو ما يشد به رأس القربة.
(٦) مخضب: بكسر الميم وهي الإجانة التي تغسل فيها الثياب.
(٧) البخاري، كتاب الوضوء (رقم ١٩٨).
(٨) انظر: صحيح السيرة النبوية (ص ٦٩٥).

شديداً، قلت: إن ذاك بأن لك أجرين؟ قال: «أجل ما من مسلم يصيبه أذى إلا حات الله عنه خطاياه كما تحات ورق الشجر» [١].

ثالثاً: من وصايا رسول الله في أيامه الأخيرة:

١ ـ وصيته ﷺ بالأنصار:

مرّ العباس رضي الله عنه بقوم من الأنصار يبكون حين اشتد برسول الله ﷺ وجعه فقال لهم: ما يبكيكم؟ قالوا: ذكرنا مجلسنا من رسول الله ﷺ، فدخل العباس عليه ﷺ فأخبره فعُصِّب بعصابة دسماء [٢]، أو قال: بحاشية برد، وخرج وصعد المنبر ولم يصعد بعد ذلك اليوم، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أوصيكم بالأنصار فإنهم كرشي [٣] وعيبتي [٤] وقد قضوا الذي عليهم وبقي الذي لهم، فاقبلوا من محسنهم، وتجاوزوا عن مسيئهم» [٥]. وفي الحديث شدة محبة الأنصار لرسول الله ﷺ، وبكاؤهم لمرضه وحرمانهم من مجلسه [٦].

٢ ـ إخراج المشركين من جزيرة العرب وإجازة الوفد:

لقد ازدادت شدة المرض على رسول الله، بحيث كان يغمى عليه في اليوم الواحد مرات عديدة، ومع ذلك كله أحب ﷺ أن يفارق الدنيا وهو مطمئن على أمته أن تضل من بعده، فأراد أن يكتب لهم كتاباً مفصلاً ليجتمعوا عليه ولا يتنازعوا فلما اختلفوا عنده ﷺ عدل عن كتابة ذلك الكتاب وأوصاهم بأمور ثلاثة ذكر الراوي منها اثنين:

- أخرجوا المشركين من جزيرة العرب.
- وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم به [٧].

٣ ـ النهي عن اتخاذ قبره مسجداً:

كان من آخر ما تكلم به رسول الله ﷺ قوله: «قاتل الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» [٨].

---

(١) البخاري، كتاب المرض، باب شدة المرض (رقم ٥٦٤٧).
(٢) بعصابة دسماء: أي سوداء.
(٣) كرشي وعيبتي: أراد بهم بطانته وموضوع سره وأمانته، والذي يعتمد عليهم في أموره واستعار الكرش والعيبة لذلك.
(٤) العيبة: ما يحرز فيه الرجل نفيس ما عنده.
(٥) البخاري، كتاب مناقب الأنصار (رقم ٣٧٩٩).
(٦) انظر: مرض النبي ووفاته (ص ٦٥).
(٧) البخاري، كتاب الجهاد والسير (رقم ٣٠٣٥).
(٨) انظر: صحيح السيرة النبوية (ص ٧١٢) البخاري، كتاب الصلاة (رقم ٤٣٥).

٤ ـ إحسان الظن بالله:

قال جابر رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول قبل موته بثلاث:

«أحسنوا الظن بالله عز وجل» (١).

٥ ـ الوصية بالصلاة وما ملكت أيمانكم:

قال أنس رضي الله عنه: كانت وصية رسول الله ﷺ حين حضره الموت: الصلاة وما ملكت أيمانكم، حتى جعل رسول الله ﷺ يغرغر بها صدره، وما يكاد يفيض بها لسانه (٢).

٦ ـ لم يبق من مبشرات النبوة إلى الرؤيا:

قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: كشف رسول الله ﷺ الستر، ورسول الله ﷺ معصوب في مرضه الذي مات فيه، فقال: «اللهم بلغت» ثلاث مرات، إنه لم يبق من مبشرات النبوة إلاّ الرؤيا، يراها العبد الصالح أو ترى له، ألا وإني قد نهيت عن القراءة في الركوع والسجود، فإذا ركعتم فعظموا الله، وإذا سجدتم فاجتهدوا في الدعاء، فإنه قَمِنٌ (٣) أن يستجاب لكم» (٤).

رابعاً: أبو بكر يصلّي بالمسلمين:

ولما اشتد المرض بالنبي ﷺ وحضرت الصلاة، فأذّن بلال، قال النبي ﷺ: «مروا أبا بكر فليصل»، فقيل: إن أبا بكر رجل أسيف (٥)، إن يقم مقامك يبكي فلا يقدر على القراءة، وأعاد فأعادوا له، فأعاد الثالثة فقال: «إنكن صواحب يوسف (٦)، مروا أبا بكر فليصل بالناس»، فخرج أبو بكر، فوجد النبي ﷺ في نفسه خفة فخرج يهادي بين رجلين، كأني أنظر إليه يخط برجليه الأرض، فلما رآه أبو بكر، ذهب يتأخر فأشار إليه أن صلِّ فتأخر أبو بكر رضي الله عنه وقعد النبي ﷺ إلى جنبه وأبو بكر يسمع الناس التكبير (٧).

خامساً: الساعات الأخيرة من حياة المصطفى:

١ ـ كان أبو بكر يصلّي بالمسلمين، حتى إذا كان يوم الاثنين، وهم صفوف في صلاة الفجر، كشف النبي ﷺ ستر الحجرة، ينظر إلى المسلمين، وهم وقوف أمام ربهم، ورأى كيف

---

(١) مسلم، كتاب الوصية (رقم ١٦٣٧).
(٢) رواه الإمام أحمد في المسند.
(٣) قمن: أي جدير وحقيق.
(٤) مسلم (١/٣٤٨) كتاب الصلاة (رقم ٢٠٧).
(٥) أسيف: من الأسف وهو شدة الحزن والمراد أنه رقيق القلب.
(٦) والمراد أنهن مثل صواحب يوسف في إظهار خلاف ما في الباطن.
(٧) البخاري، كتاب الأذان (رقم ٧١٢).

أثمر غرس دعوته وجهاده، وكيف نشأت أمة تحافظ على الصلاة، وتواظب عليها بحضرة نبيها وغيبته، وقد قرّت عينه بهذا المنظر البهيج، وبهذا النجاح الذي لم يقدر لنبي أو داع قبله، واطمأن أن صلة هذه الأمة بهذا الدين وعبادة الله تعالى، صلة دائمة، لا تقطعها وفاة نبيها، فملىء من السرور ما الله به عليم واستنار وجهه وهو منير [١]، ويقول الصحابة ـ ﷺ ـ: كشف النبي ﷺ ستر حجرة عائشة ينظر إلينا وهو قائم، كأن وجهه ورقة مصحف، ثم تبسم يضحك، فهممنا أن نفتتن من الفرح، وظننا أن النبي ﷺ خارج إلى الصلاة، فأشار إلينا أن أتموا صلاتكم، ودخل الحجرة، وأرخى الستر وانصرف بعض الصحابة إلى أعمالهم، ودخل أبو بكر على ابنته عائشة وقال: ما أرى رسول الله إلا قد أقلع عنه الوجع، وهذا يوم بنت خارجة ـ إحدى زوجتيه ـ وكانت تسكن بالسُّنح [٢]، فركب على فرسه وذهب إلى منزله [٣].

٢ ـ في الرفيق الأعلى:

واشتدت سكرات الموت بالنبي ﷺ، ودخل عليه أسامة بن زيد وقد صمت فلا يقدر على الكلام، فجعل يرفع يديه إلى السماء ثم يضعها على أسامة، فعرف أنه يدعو له، وأخذت السيدة عائشة رسول الله وأوسدته إلى صدرها بين سحرها [٤] ونحرها، فدخل عبد الرحمٰن بن أبي بكر وبيده سواك، فجعل رسول الله ينظر إليه، فقالت عائشة: آخذه لك، فأشار برأسه نعم، فأخذته من أخيها ثم مضغته وليَّنته وناولته إياه فاستاك به كأحسن ما يكون الاستياك، وكل ذلك وهو لا ينفك عن قوله: «في الرفيق الأعلى»، وكان ﷺ يدخل يده في ركوة ماء أو علبة فيها ماء، فيمسح بها وجهه ويقول: «لا إله إلا الله.... إن للموت سكرات» ثم نصب يده فجعل يقول: «في الرفيق الأعلى»... حتى قبض ومالت يده، وفي لفظ أن النبي ﷺ كان يقول: «اللهم أعني على سكرات الموت» [٥].

وفي رواية: أن عائشة سمعت النبي ﷺ وأصغت إليه قبل أن يموت وهو مسند ظهره يقول: «اللهم اغفر لي، وارحمني وألحقني بالرفيق الأعلى» [٦].

وقد ورد أن فاطمة ﷺ قالت: واكرب أباه. فقال لها: «ليس على أبيك كرب بعد اليوم». فلما مات قالت: يا أبتاه... أجاب رباً دعاه، يا أبتاه... من جنة الفردوس مأواه، يا أبتاه... إلى جبريل ننعاه، فلما دفن ﷺ قالت فاطمة ﷺ: يا أنس أطابت أنفسكم أن تحثوا على

---

(١) انظر: السيرة النبوية للندوي (ص ٤٠١).

(٢) السنح: موضع خارج المدينة كان للصديق مال فيه وبيت.

(٣) انظر: السيرة النبوية لأبي شهبة (٢/ ٥٩٣).

(٤) السحر: الرئة. النحر: الثغرة التي في أسفل العنق.

(٥) الترمذي، كتاب الجنائز (رقم ٩٧٨).

(٦) البخاري، كتاب المغازي (رقم ٤٤٤٠).

رسول الله ﷺ التراب [١].

٣ ـ كيف فارق رسول الله الدنيا؟

فارق رسول الله ﷺ الدنيا وهو يحكم جزيرة العرب، ويرهبه ملوك الدنيا، ويفديه أصحابه بنفوسهم وأولادهم وأموالهم، وما ترك عند موته ديناراً ولا درهماً، ولا عبداً، ولا أمة، ولا شيئاً، إلا بغلته البيضاء، وسلاحه وأرضاً جعلها صدقة. وتوفي ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعاً من شعير [٢].

وكان ذلك يوم الاثنين ١٢ ربيع الأول سنة ١١ للهجرة بعد الزوال [٣]، وله ﷺ ثلاث وستون سنة، وكان أشد الأيام سواداً ووحشة ومصاباً على المسلمين، ومحنة كبرى للبشرية، كما كان يوم ولدته أسعد يوم طلعت فيه الشمس [٤].

يقول أنس رضي الله عنه : كان اليوم الذي قدم فيه رسول الله ﷺ المدينة أضاء منها كل شيء، فلما كان اليوم الذي مات فيه أظلم منها كل شيء، وبكت أم أيمن فقيل لها: ما يبكيك على النبي؟ قالت: إني قد علمت أن رسول الله ﷺ سيموت ولكن إنما أبكي على الوحي الذي رفع عنا.

٤ ـ هول الفاجعة وموقف أبي بكر منها:

قال ابن رجب: ولما توفي رسول الله ﷺ اضطرب المسلمون، فمنهم من دهش فخولط، ومنهم من أقعد فلم يُطق القيام، ومنهم من اعتقل لسانه فلم يطق الكلام، ومنهم من أنكر موته بالكلية [٥].

قال القرطبي مبيناً عظم هذه المصيبة وما ترتب عليها من أمور:

من أعظم المصائب المصيبة في الدين... قال رسول الله ﷺ: «إذا أصاب أحدكم مصيبة فليذكر مصابه بي فإنها أعظم المصائب» [٦]، وصدق رسول الله ﷺ، لأن المصيبة به أعظم من كل مصيبة يصاب بها المسلم بعده إلى يوم القيامة، انقطع الوحي، وماتت النبوة، وكان أول ظهور الشر بارتداد العرب وغير ذلك، وكان أول انقطاع الخير وأول نقصانه [٧].

---

(١) البخاري، كتاب المغازي (رقم ٤٤٦٢).
(٢) انظر: السيرة النبوية للندوي (ص ٤٠٣).
(٣) انظر: البداية والنهاية (٤/ ٢٢٣).
(٤) انظر: السيرة النبوية للندوي (ص ٤٠٤).
(٥) انظر: لطائف المعارف (ص ١١٤).
(٦) انظر: السلسلة الصحيحة للألباني (قم ١١٠٦).
(٧) انظر: تفسير القرطبي (٢/ ١٧٦).

لقد أذهل نبأ الوفاة عمر ﷺ فصار يتوعد وينذر من يزعم أن النبي مات، ويقول: ما مات، ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران، فقد غاب عن قومه أربعين ليلة، ثم رجع إليهم والله ليرجعن رسول الله كما رجع موسى، فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم زعموا أنه مات [١].

ولما سمع أبو بكر الخبر أقبل على فرس من مسكنه بالسنح، حتى نزل، فدخل المسجد فلم يكلم الناس، حتى دخل على عائشة فتيمم رسول الله ﷺ وهو مغشى بثوب حبرة فكشف عن وجهه،ثم أكب عليه فقبّله وبكى، ثم قال: بأبي أنت وأمي، والله لا يجمع الله عليك موتتين، أما الموتة التي عليك فقد متها [٢]، وخرج أبو بكر وعمر يتكلم فقال: اجلس يا عمر، وهو ماض في كلامه، وفي ثورة غضبه، فقام أبو بكر في الناس خطيباً بعد أن حمد الله وأثنى عليه:

أما بعد، فإن من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، ثم تلا هذه الآية: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [آل عِمرَان: ١٤٤] .

قال عمر: فوالله ما إن سمعت أبا بكر تلاها فعقرت حتى ما تقلني رجلاي، وحتى أهويت إلى الأرض حين سمعته تلاها، علمت أن النبي ﷺ قد مات [٣].

قال القرطبي: هذه الآية دليل على شجاعة الصديق وجراءته، فإن الشجاعة والجرأة حدهما ثبوت القلب عند حلول المصائب، ولا مصيبة أعظم من موت النبي ﷺ فظهرت شجاعته وعلمه، قال الناس: لم يمت رسول الله ﷺ، منهم عمر، وخرس عثمان، واستخفى علي، واضطرب الأمر، فكشفه الصديق بهذه الآية حين قدومه من مسكنه بالسنح [٤].

فرحم الله الصديق الأكبر، كم من مصيبة درأها عن الأمة، وكم من فتنة كان المخرج على يديه، وكم من مشكلة ومعضلة كشفها بشهب الأدلة من القرآن والسنّة، التي خفيت على مثل عمر ﷺ ، فاعرفوا للصديق حقه، واقدروا له قدره، وأحبوا حبيب رسول الله ﷺ، فحبه إيمان وبغضه نفاق [٥].

---

(١) انظر: السيرة النبوية لأبي شهبة (٢/ ٥٩٤).
(٢) البخاري، كتاب المغازي (رقم ٤٤٥٢).
(٣) البخاري، كتاب المغازي (رقم ٤٤٥٤).
(٤) انظر: تفسير القرطبي (٤/ ٢٢٢).
(٥) انظر: مرض النبي ووفاته (ص ٢٤).

٥ ـ بيعة أبي بكر بالخلافة:

وبايع المسلمون أبا بكر بالخلافة، في سقيفة بني ساعدة، حتى لا يجد الشيطان سبيلاً إلى تفريق كلمتهم، وتمزيق شملهم، ولا تلعب الأهواء بقلوبهم، وليفارق رسول الله ﷺ هذه الدنيا وكلمة المسلمين واحدة، وشملهم منتظم، وعليهم أمير يتولى أمورهم، ومنها تجهيز رسول الله ﷺ ودفنه [١]، والحديث عن بيعة أبي بكر سنتكلم عنه بالتفصيل عند الدخول في عصر الخلفاء الراشدين إن شاء الله تعالى.

٦ ـ غسل رسول الله ﷺ وكفنه، والصلاة عليه:

قالت عائشة رضي الله عنها: لما أرادوا غسل النبي ﷺ قالوا: ما ندري أنجرده من ثيابه كما نجرد موتانا، أو نغسله وعليه ثيابه،فلما اختلفوا ألقى الله عليهم النوم حتى ما منهم رجل إلا وذقنه في صدره فكلمهم مكلم من ناحية البيت لا يدرون من هو!! أن اغسلوا رسول الله ﷺ وعليه ثيابه، فغسلوه وعليه قميصه، يصبون الماء فوق القميص، ويدلكون بالقميص دون أيديهم. قالت عائشة: لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما غسله إلا نساؤه [٢].

وكفّن ﷺ في ثلاث أثواب سحولية، من ثياب سحول ـ بلدة باليمن ـ ليس فيها قميص ولا عمامة [٣]، وقد صلّى عليه المسلمون، قال ابن عباس: لما مات رسول الله ﷺ أدخل الرجال، فصلّوا عليه بغير إمام أرسالاً، حتى فرغوا، ثم أدخل النساء فصلين عليه، ثم أدخل الصبيان فصلّوا عليه، ثم أدخل العبيد فصلوا عليه أرسالاً، لم يؤمهم على رسول الله ﷺ أحد [٤].

قال ابن كثير: وهذا الصنيع، وهو صلاتهم عليه فرادى لم يؤمهم أحد عليه، أمر مجمع عليه لا خلاف فيه [٥].

٧ ـ موقع دفنه وصفة قبره، ومن باشر دفنه؟ ومتى دفن؟

اختلف المسلمون في موقع دفنه فقال بعضهم: يدفن عند المنبر، وقال آخرون: بالبقيع، وقال قائل في مصلاه [٦]، فجاء أبو بكر الصديق رضي الله عنه، فحسم مادة هذا الخلاف أيضاً بما

---

(١) انظر: السيرة النبوية للندوي (ص ٤٠٦).

(٢) المستدرك للحاكم (٣/ ٥٩، ٦٠) وقال: صحيح الإسناد على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وصححه ابن حبان.

(٣) انظر: مختصر سيرة الرسول (ص ٣٧)، تهذيب الأسماء للندوي (ص ٢٣)، مسلم (٢/ ٦٥٠) كتاب الجنائز (رقم ٤٥).

(٤) انظر: دلائل النبوة (٧/ ٢٥٠) وسنن ابن ماجة (رقم ١٦٢٨) والحديث فيه ضعف.

(٥) انظر: البداية والنهاية (٥/ ٢٣٢).

(٦) الموطأ (رقم ٥٤٥)، ابن سعد (٢/ ٢٩٣).

سمعه من رسول الله ﷺ. قالت عائشة وابن عباس: لما قبض رسول الله ﷺ وغسل اختلفوا في دفنه فقال أبو بكر: ما نسيت ما سمعت من رسول الله ﷺ يقول: «ما قبض الله نبياً إلا في الموضع الذي يجب أن يدفن فيه»، ادفنوه في موضع فراشه [١]، وهذا الحديث وإن كان مختلف في صحته إلا أن دفن النبي ﷺ في موضعه الذي توفي فيه أمر مجمع عليه [٢].

وقال ابن كثير: قد علم بالتواتر أنه عليه الصلاة والسلام دفن في حجرة عائشة التي كانت، تختص بها، شرقي مسجده في الزاوية الغربية القبلية من الحجرة، ثم دفن فيها أبو بكر ثم عمر ﷺ [٣].

وقد لحد [٤] قبر رسول الله ﷺ، وقد أجمع العلماء على أن اللحد والشق [٥]، جائزان، لكن إذا كانت الأرض صلبة لا ينهار ترابها فاللحد أفضل، وإن كانت رخوة تنهار فالشق أفضل [٦].

وقد قال الألباني رحمه الله: ويجوز في القبر اللحد والشق لجريان العمل عليهما في عهد النبي ﷺ، ولكن الأول أفضل [٧]، لأن الله تعالى لا يختار لنبيه إلا الأفضل [٨]، وأما صفة قبره فقد كان مُسَنَّماً [٩]، أي مرتفعاً، وذهب جمهور العلماء إلى أن المستحب في بناء القبور هو التسنيم وأنه من التسطيح [١٠]، وفي المسألة خلاف طويل ليس هذا محله، وقد قرب ابن القيم رحمه الله بين المذهبين فقال: وكانت قبور أصحابه لا مشرفة، ولا لائطة، وهكذا كان قبره الكريم، وقبر صاحبيه، فقبره ﷺ مسنم مبطوح ببطحاء العرصة الحمراء، لا مبني ولا مطين، وهكذا قبر صاحبيه [١١]، وقد كان قبره ﷺ مرتفعاً قليلاً عن سطح الأرض [١٢].

وأما الذين باشروا دفنه ﷺ، قال ابن إسحاق: وكان الذين نزلوا في قبر رسول الله ﷺ

---

(١) انظر: صحيح السيرة النبوية، (ص ٧٢٧).
(٢) انظر: مرض النبي ووفاته، (ص ١٦٠).
(٣) انظر: البداية والنهاية (٥/ ٢٣٨).
(٤) اللحد: الشق الذي يعمل في جانب القبر لموضع الميت.
(٥) والشق: أي يحفر في وسط الأرض.
(٦) انظر: المجموع للنووي (٥/ ٢٨٧).
(٧) انظر: أحكام الجنائز (ص ١٤٤).
(٨) انظر: مرض النبي ووفاته (ص ١٦٠) وقد استفدت من هذا الكتاب فائدة كبرى في مبحث مرض ووفاة الرسول.
(٩) البخاري، كتاب الجنائز (رقم ١٣٩٠).
(١٠) انظر: مرض النبي ووفاته (ص ١٦٤).
(١١) انظر: زاد المعاد (١/ ٥٢٤).
(١٢) انظر: تهذيب السنن لابن القيم (٤/ ٣٣٨).

علي بن أبي طالب، والفضل بن عباس، وقُثَم بن عباس، وشقران مولى رسول الله ﷺ [١]، وزاد النووي [٢]، والمقدسي: [٣] العباس، قال النووي: ويقال: كان أسامة بن زيد وأوس بن خَوْلى [٤] معهم. ودفن في اللحد، وبنى عليه ﷺ في لحده اللبن، يقال إنها تسع لبنات، ثم أهالوا التراب [٥]، وأما وقت دفنه، فقد ذهب كثير من العلماء إلى أنه دفن ليلة الأربعاء قال ابن كثير: والمشهور عن الجمهور ما أسلفناه من أنه ﷺ توفي يوم الاثنين ودفن ليلة الأربعاء [٦].

لقد كان لوفاة رسول الله ﷺ أثر على الصحابة الكرام، فقد قال أنس رضي الله عنه: .... وما نفضنا عن النبي ﷺ الأيدي ـ إنا لفي دفنه ـ حتى أنكرنا قلوبنا [٧].

سادساً: بعض ما قيل من المراثي في وفاة رسول الله ﷺ:

١ ـ ما قاله حسان رضي الله عنه في موت رسول الله:

لقد نافح حسان بن ثابت عن رسول الله ﷺ في حياته، ودافع عن الإسلام والمسلمين بقصائده الرائعة التي هزت عرب الجزيرة وفعلت فيهم الأفاعيل، ولقد تأثر بموت حبيبنا ﷺ فرثاه بقصائد مبكية حزينة، حفظها لنا التاريخ ولم تهملها الليالي ولم تفصلها عنا حواجز الزمن ولا أسوار القرون فمما قاله يبكي رسول الله ﷺ:

ما بال عينك لا تنام كأنها ... كُحِلَت مآقيها[٨] بكحل الأرمد [٩]

جزعا على المهدي أصبح ثاويا ... يا خير من وطىء الحصى لا تبعد

وجهي يقيك الترب لهفي ليتني ... غُيِّبْتُ قبلك في بقيع الغرقد [١٠]

بأبي وأمي من شهدت وفاته ... في يوم الاثنين النبي المهتدي

فظللت بعد وفاته متلبداً ... متلدّداً [١١] يا ليتني لم أولد

أأقيم بعدك بالمدينة بينهم ... يا ليتني صُبِّحتُ [١٢] سَمّ الأسود [١٣]

أو حل أمر الله فينا عاجلاً ... في روحة من يومنا أو في غد

فتقوم ساعتنا فنلقى طيباً ... محضا ضرائبه [١٤] كريم المحتد [١٥]

---

(١) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (٤/ ٣٢١).
(٢) انظر: تهذيب الأسماء (ص ٢٣).
(٣) انظر: مختصر السيرة (ص ٣٥).
(٤) انظر: مرض النبي ووفاته (ص ١٧٣).
(٥) انظر: تهذيب الأسماء للنووي (ص ٢٣).
(٦) انظر: البداية والنهاية (٥/ ٢٣٧)، صحيح السيرة النبوية (ص ٧٢٨).
(٧) انظر: صحيح السيرة النبوية، (ص ٧٢٩).
(٨) المآقي: جمع مأق ومؤق وهي مجاري الدمع من العين.
(٩) الأرمد: الذي يشتكي وجع العين.
(١٠) بقيع الغرقد: المكان الذي يدفن فيه أهل المدينة موتاهم.
(١١) متلدد: متحير.
(١٢) صبحت: سقيت صبحا.
(١٣) الأسود: ضرب من الحيات.
(١٤) الضرائب: الطبائع.
(١٥) المحتد: الأصل.

يا بكر آمنة المبارك بكرها ... ولدته محصنة بسعد الأسعد
نوراً أضاء على البرية كلها ... من يهد للنور المبارك يهتدي
يا رب فاجمعنا معاً ونبينا ... في جنة تُثني [١] عيون الحُسَّد
في جنة الفردوس فاكتبها لنا ... يا ذا الجلال وذا العلا والسؤدد
والله أسمع ما بقيت بهالك ... إلا بكيت على النبي محمد
يا ويح أنصار النبي ورهطه ... بعد المغيب في سواء الملْحد [٢]
ضاقت بالأنصار البلاد فأصبحوا ... سوداً وجوههم كلون الإثمد [٣]
ولقد ولدناه [٤] وفينا قبره ... وفضول نعمته بنا لم تجحد
والله أكرمنا به وهدى به ... أنصاره في كل ساعة مشهد
صلى الإله ومن يحفُّ بعرشه ... والطيبون على المبارك أحمد [٥]

وقال أيضاً:

تالله ما حملت أنثى ولا وضعت ... مثل الرسول نبي الأمة الهادي
ولا يرى الله خلقاً من بريته ... أوفى بذمة جار أو بميعاد
من الذي كان فينا يستضاء به ... مبارك الأمر ذا عدل وإرشاد

إلى أن قال:

يا أفضل الناس إني كنت في نهر ... أصبحت منه كمثل المفرد الصادي [٦]

٢ ـ ومما قاله أبو بكر الصديق يبكي النبي ﷺ:

لما رأيت نبينا متجندلا ... ضاقت عليَّ بعرضهن الدور
فارتاع قلبي عند ذاك لموته ... والعظم مني ما حييت كسير
أعتيق ويحك!!! إن خِلَّك قد ثوى ... والصبر عندك ما بقيت يسير
يا ليتني من قبل مهلك صاحبي ... غُيِّبت في لحد عليه صخور
فلتحدثن بدائع من بعده ... تعيا لهن جوانح وصدور [٧]

٣ ـ وقال أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم يبكي رسول الله ﷺ:

---

(١) تثني عيون الحسد: تصرفها وتدفعها.
(٢) سواء الملحد: وسطه.
(٣) الأثمد: كحل أسود.
(٤) أي بني النجار أخوال النبي ﷺ من قبل آبائه.
(٥) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (٤/ ٣٢٨).
(٦) الصادي: العاطش، السيرة النبوية لابن هشام (٤/ ٣٢٩).
(٧) انظر: المستطرف الأبشيهي، (ص ٣٦٦)، ديوان أبي بكر الصديق، طبع حديثاً حققه وشرحه راجي الأسمر، (ص ٣٢، ٣٣).

أرقتُ فبات ليلي لا يزول ... وليل أخي المصيبة فيه طول
وأسعدني البكاء وذاك فيما ... أصيب المسلمون به قليل
لقد عظمت مصيبتنا وجَلَّت ... عشية قيل: قد قبض الرسول
وأضحت أرضنا مما عراها ... تكاد بنا جوانبها تميل
فقدنا الوحي والتنزيل فينا ... يروح به ويغدو جبرائيل
وذاك أحق ما سالت عليه ... نفوس الناس أو كادت تسيل
نبي كان يجلو الشك عنا ... بما يوحى إليه وما يقول
ويهدينا فلا نخشى ملاما ... علينا والرسول لنا دليل
أفاطمُ إن جزعت فذاك عذر ... وإن لم تجزعي فهو السبيل
فقبر أبيك سيد كل قبر ... وفيه سيد الناس الرسول [1]

٤ ـ وقالت صفية بنت عبد المطلب تبكي رسول الله ﷺ:

ألا يا رسول الله كنت رجاءنا ... وكنت بنا براً ولم تك جافيا
وكنت رحيماً هادياً ومعلما ... ليبكِ عليك اليوم من كان باكيا
لعمرك ما أبكى النبي لفقده ... ولكن لما أخشى من الهرج [2] آتيا
كأن على قلبي لذكر محمد ... وما خفت من بعد النبي المكاويا
أفاطمُ صلى الله ربُّ محمد ... على جدث أمسى بيثرب ثاويا
فديً لرسول الله أمي وخالتي ... وعمي وآبائي ونفسي وماليا
صدقتَ وبلغتَ الرسَالة صادقاً ... ومتّ صليبَ العود أبلج صافيا
فلو أن ربَّ الناس أبقى نبينا ... سعدنا ولكن أمره كان صافيا
عليك من الله السلام تحيةً ... وأُدخلت جناتٍ من العدن راضيا [3]

(١) انظر: الاكتفاء للكلاعي (٢/٤٥٦).
(٢) الهرج والفتن.
(٣) انظر: تفسير القرطبي (٤/٢١٩، ٢٢٠).

الخاتمة

وبعد، فهذا ما يسره الله لي من جمع وترتيب وتحليل تضمنتها فصول هذا الكتاب، فيما يتعلق (بالسيرة النبوية... عرض حقائق وتحليل أحداث) فما كان فيه من صواب فهو محض فضل الله عليَّ، فله الحمد والمنّة، وما كان فيه من خطأ فأستغفر الله تعالى وأتوب إليه، والله ورسوله بريء منه، وحسبي أني كنت حريصاً أن لا أقع في الخطأ وعسى أن لا أُحرم من الأجر.

وأدعو الله تعالى أن ينفع بهذا الكتاب إخواني المسلمين، وأن يذكرني من يقرأه في دعائه، فإن دعوة الأخ لأخيه في ظهر الغيب مستجابة إن شاء الله تعالى، وأختم هذا الكتاب بقول الله تعالى: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

وبقول الشاعر:

إلهي أنت للإحسان أهل ... ومنك الجود والفضل الجزيل
إلهي بات قلبي في هموم ... وحالي لا يُسرُّ به خليل
إلهي تُبْ وجُدْ وارحمْ عُبيداً ... من الأوزار مدمعُهُ يسيل
إلهي ثوبُ جسمي دنّسته ... ذنوبٌ حملها أبداً ثقيل
إلهي جُدْ بعفوك لي فإني ... على الأبواب منكسرٌ ذليل
إلهي خانَني جلدي وصبري ... وجاء الشيب واقترب الرحيل
إلهي داوِني بدواء عفو ... به يُشفى فؤادي والغليلُ
إلهي ذاب قلبي من ذنوبي ... ومن فعل القبيح أنا القتيل
إلهي قلت ادعوني أُجِبْكُم ... فهاك العبد يدعو يا وكيل
إلهي هذه الأوقات تمضي ... بأعمار لنا وبها تزول

وبقول الشاعر:

اطلب العلم ولا تكسل فما ... أبعد الخير على أهل الكسل
احتفل للفقه في الدين ولا ... تشتغل عنه بمالٍ وحَوَلْ
واهجر النوم وحصِّله فمن ... يعرف المطلوب يحقر ما بذل
لا تقل قد ذهبت أربابه ... كل من سار على الدرب وصل

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك).

المصادر والمراجع

(أ)

١ ـ **آثار الحرب في الفقه الإسلامي**: د.وهبة الزحيلي، دراسة مقارنة دار الفكر، ط (٣) ١٤٠١ ـ ١٩٨١ م.

٢ ـ **آثار تطبيق الشريعة**: د.محمد عبد الله الزاحم، دار المنار ـ ط ١ ـ ١٤١٢ هـ ـ ١٩٩١ م.

٣ ـ **آفات على الطريق**: د.السيد محمد نوح، دار الوفاء، المنصورة، مصر ـ ط ٥ ـ ١٤٠٠هـ ١٩٩٠ م.

٤ ـ **أسد الغابة في معرفة الصحابة**: علي بن أبي الكرم ابن الأثير.

٥ ـ **الأم**: محمد بن إدريس الشافعي، طبعة دار الفكر، بيروت ـ لبنان، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠ م.

٦ ـ **الإتقان في علوم القرآن**: عبد الرحمٰن السيوطي، المكتبة الثقافية، بيروت ـ لبنان، (ب ـ ت).

٧ ـ **الإدارة الإسلامية في عصر عمر بن الخطاب**: د.فاروق مجدلاوي، دار مجدلاوي، عمان ـ ط ٢ ـ ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م.

٨ ـ **الإصابة في تمييز الصحابة**: أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق علي محمد البجاوي، دار النهضة مصر.

٩ ـ **الاعتصام**: الإمام الشاطبي، دار الفكر، مكتبة الرياض الحديثة بالرياض.

١٠ ـ **الإعلام في صدر الإسلام**: د.عبد اللطيف حمزة، دار الفكر.

١١ ـ **إمتاع الأسماع بما للرسول من الأبناء والأموال والحفدة والمتاع**: للشيخ أحمد بن علي المقريزي، صححه وشرحه محمود محمد شاكر، مطبعة لجنة التأليف والترجمة بالقاهرة ١٩٤١م.

١٢ ـ **الأحاديث الواردة في فضائل المدينة**: صالح الرفاعي، دار الخضيري، المدينة، ط٣ ـ ١٤١٨هـ.

١٣ ـ **أحكام الجنائز وبدعها**: الألباني ـ المكتب الإسلامي ـ بيروت.

١٤ ـ **أحكام السوق في الإسلام**: أحمد الدريوش، دار عالم لكتب، ط١ ـ ٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.

١٥ ـ **أحكام القرآن**: أبو بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي، تحقيق. محمد عبد القادر

عطاء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ ـ ١٤٠٨هـ.
١٦ ـ **الأخلاق الإسلامية وأسسها**: عبد الرحمٰن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق.
١٧ ـ **الأخوات المسلمات وبناء الأسرة القرآنية**: محمود محمد الجوهري.
١٨ ـ **إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل**: محمد ناصر الدين الألباني ـ إشراف زهير الشاويش.
١٩ ـ **الأساس في السنّة وفقهها ـ السيرة النبوية**: سعيد حوى، دار السلام بمصر ـ ط١ ـ ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.
٢٠ ـ **الأساس في السنة**: سعيد حوى، دار السلام، مصر.
٢١ ـ **أساليب التشويق والتعزيز في القرآن الكريم**: د.الحسين جرنو محمود جلو، مؤسسة الرسالة، دار العلوم الإنسانية ـ ط١ ـ ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.
٢٢ ـ **أسباب النزول**: أبو الحسن الواحدي النيسابوري، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط١ ـ ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.
٢٣ ـ **أسباب هلاك الأمم السالفة**: سعيد محمد بابا سيلا، سلسلة الحكمة البريطانية، ط١ ـ ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م.
٢٤ ـ **الاستخبارات العسكرية في الإسلام**: عبد الله علي السلامة مناصرة، مؤسسة الرسالة، بيروت ـ لبنان ـ ط٢ ـ ١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م.
٢٥ ـ **الإسلام في خندق**: مصطفى محمود، دار أخبار اليوم القاهرة، مصر، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.
٢٦ ـ **أصول الفكر السياسي في القرآن المكي**: التجاني عبد القادر حامد، دار البشير، عمان ـ الأردن ط١ ـ ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.
٢٧ ـ **أضواء على الهجرة**: توفيق محمد سبع، مطبعة الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية مصر، ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م.
٢٨ ـ **أعلام النبوة**: الماوردي ـ الكليات الأزهرية.
٢٩ ـ **إغاثة اللهفان عن مصائد الشيطان**: ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية بيروت، ط١ ـ ١٤٠٨هـ ـ ١٩٩٨م.
٣٠ ـ **الاكتفاء بما تضمنه من مغازي الرسول والثلاثة الخلفاء**: تأليف أبي الربيع سليمان بن موسى الكلاعي، عالم الكتب، ط١ ـ ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.
٣١ ـ **الأموال**: أبو عبيد القاسم بن سلام، مؤسسة ناصر الثقافية، بيروت.
٣٢ ـ **الانحرافات العقدية والعلمية**: علي بن نجيب الزهراني، دار طيبة، ط٢ ـ ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م.
٣٣ ـ **أنساب الأشراف**: البلاذُريّ ـ تحقيق محمد حميد الله، دار المعارف. مصر ـ (ب ـ ت).

٣٤ - **الأنساب**: أبوسعيد عبد الكريم بن محمد السمعاني، تحقيق عبد الرحمٰن المعلمي اليماني، نشر مجلس دائرة المعارف العثمانية - الهند، ١٣٨٢هـ - ١٩٦٢م.

٣٥ - **أهمية الجهاد في نشر الدعوة**: د.علي العلياني، دار طيبة ط١ - ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٣٦ - **الإيمان والحياة**: يوسف القرضاوي مؤسسة الرسالة، بيروت ط١٠ - ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م.

(ب)

٣٧ - **البحر الرائق في الزهد والرقائق**: أحمد فريد، دار البخاري، القصيم بالسعودية، ط ١ - ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

٣٨ - **بدائع السالك في طبائع الملك**: أبو عبد الله بن الأزرق، تحقيق وتعليق علي سامي النشار، منشورات وزارة الإعلام، الجمهورية العراقية.

٣٩ - **البداية والنهاية**: ابن كثير - دار الريان للتراث، مصر - ط١ - ١٤٠٨هـ - ١٩٩٠ م، ط٤ - ١٤١٩هـ - ١٩٩٨ م، بعناية وتوثيق عبد الرحمٰن اللاذقي، ومحمد غازي بيضون - دار المعرفة - لبنان.

٤٠ - **بلوغ الإرب في معرفة أحوال العرب**: محمود شكري الآلوسي، تحقيق محمد بهجة الأثري، دار الكتب العلمية، بيروت - ط٢ (ب - ت).

٤١ - **بناء المجتمع الإسلامي في عصر النبوة**: محمد توفيق رمضان، دار ابن كثير دمشق، ط١ - ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

٤٢ - **بهجة المحافل وبغية الأماثل في تلخيص المعجزات والسير والشمائل**: شرح جمال الدين محمد الأشخر اليمني، دار صادر - بيروت.

(ت)

٤٣ - **تأملات في سورة الكهف**: أبو الحسن الندوي، دار القلم.

٤٤ - **تأملات في سيرة الرسول ﷺ**: د.محمد السيد الوكيل، دار المجتمع، ط١ - ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.

٤٥ - **تاريخ الإسلام للذهبي (المغازي)**: تحقيق عمر بن عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، ط٢ - ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

٤٦ - **التاريخ الإسلامي مواقف وعِبَر**: د.عبد العزيز الحميدي، دار الدعوة الإسكندرية، مصر - ط - ١ ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٤٧ - **التاريخ السياسي والحضاري**: د.السيد عبد العزيز سالم.

٤٨ - **التاريخ السياسي والعسكري لدولة المدينة في عهد الرسول ﷺ، استراتجية الرسول السياسية والعسكرية**: د.علي معطي، مؤسسة المعارف بيروت، لبنان ط١ - ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٤٩ - **تاريخ الطبري**: أبو جعفر محمد بن جرير، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار سويدان -

بيروت، لبنان، ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م.

٥٠ ـ **تاريخ اليهود في بلاد العرب**: ولفنسون، القاهرة، ط ـ ١٩٢٧م.

٥١ ـ **تاريخ خليفة بن خياط**: تحقيق أكرم ضياء العمري، مطبعة الآداب،النجف ـ العراق ـ ١٩٦٧م.

٥٢ ـ **تاريخ دولة الإسلام الأولى**: فايد حمّاد عاشور، سليمان أبو عزب، دار قطري ابن الفجاءة، الدوحة، قطر،ط ١ ـ ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.

٥٣ ـ **تاريخ صدر الإسلام**: عبد الرحمٰن بن عبد الولي شجاع، دار الفكر المعاصر، صنعاء، ط١ ـ ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م.

٥٤ ـ **التحالف السياسي في الإسلام**: منير محمد الغضبان، دار السلام، ط٢ ـ ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

٥٥ ـ **التحرير والتنوير (تفسير)**: الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ـ دار الكتب الشرقية، تونس.

٥٦ ـ **تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي**: محمد بن عبد الرحمٰن المباركفوري، تصحيح عبد الرحمٰن محمد عثمان، مطبعة الاعتماد، نشر محمد عبد المحسن الكتبي.

٥٧ ـ **تحفة الأشراف**: أبو الحجاج يوسف المزي، الدار القيمة ـ ١٣٨٤هـ.

٥٨ ـ **التربية القيادية**: منير الغضبان، دار الوفاء، المنصورة، مصر، ط١ ـ ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م.

٥٩ ـ **تفسير ابن أبي حاتم (تفسير القرآن العظيم)**: ابن أبي حاتم ـ تحقيق أسعد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز ـ السعودية ـ ط٢ ـ ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م.

٦٠ ـ **(تفسير أبي السعود) المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**: أبو السعود محمد العمادي الحنفي، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض ـ مطبعة السعادة ـ القاهرة.

٦١ ـ **تفسير ابن كثير**: ابن كثير القرشي، دار الفكر ودار القلم، بيروت ـ لبنان، ط٢.

٦٢ ـ **(تفسير الآلوسي) المسمى روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**: محمود الآلوسي البغدادي، إدارة الطباعة المصطفانية بالهند (ب ـ ت).

٦٣ ـ **(تفسير البغوي) المسمى معالم التنزيل**: الإمام الفراء البغوي، دار المعرفة، بيروت ـ لبنان.

٦٤ ـ **(تفسير البيضاوي) المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل**: الإمام ناصر الدين البيضاوي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط ـ ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.

٦٥ ـ **تفسير الرازي**: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣.

٦٦ ـ **(تفسير الزمخشري) المسمى بالكشاف**: دار المعرفة، ط ـ ١٩٦٧م.

٦٧ ـ **(تفسير السعدي) المسمى تيسير الكريم الرحمٰن في تفسير كلام المنان**: عبد الرحمٰن ناصر السعدي، المؤسسة السعدية بالرياض، ١٩٧٧م.

٦٨ ـ **تفسير القرطبي**: أبو عبد الله القرطبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، ١٩٦٥م.

٦٩ ـ **(تفسير المراغي)**: أحمد مصطفى المراغي، دار الفكر ـ بيروت ـ ط٣ ـ ١٣٩٤هـ.

٧٠ ـ **تفسير المنار**: محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت ـ لبنان.

٧١ ـ **التفسير المنير**: د.وهبة الزحيلي، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، ط١ ـ ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

٧٢ ـ **(تفسير النسفي) المسمى بمدارك التنزيل وحقائق التأويل**: الإمام النسفي (ت ـ ٧١٠هـ) الناشر: دار الكتاب العربي ـ بيروت.

٧٣ ـ **(تفسير ابن عطية) المسمى المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**: أبو محمد عبد الحق بن عطية، من مطبوعات رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية بدولة قطر، ط١ ـ ١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م.

٧٤ ـ **تفسير سورة فصلت**: د.محمد صالح علي مصطفى، دار النفائس، ط١ ـ ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.

٧٥ ـ **تلقيح فهوم أهل الأثر**: ابن الجوزي، مكتبة الآداب، القاهرة، دون ذكر الطبعة.

٧٦ ـ **التمكين للأمة الإسلامية في ضوء القرآن الكريم**: محمد السيد حمد يوسف، دار السلام، مصر، ط١ ـ ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

٧٧ ـ **تنظيمات الرسول الإدارية في المدينة**: صالح أحمد العلي، مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد السابع عشر، بغداد ـ ١٩٦٩م.

٧٨ ـ **تنوير الحوالك شرح موطأ مالك**: جلال الدين السيوطي، دار إحياء الكتب.

٧٩ ـ **تهذيب مدارج السالكين**، لابن القيم: هذبه عبد المنعم صالح العلي العزي، مؤسسة الرسالة، ط٣ ـ ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.

(ج)

٨٠ ـ **جامع الأصول**: ابن الأثير (ت ـ ٦٠٦هـ) ـ تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة الحلواني سورية ١٣٩٢هـ. ط٢ ـ دار الفكر ـ لبنان (١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣ م). ط١ ـ دار الكتب العلمية ـ لبنان ـ تحقيق أيمن صالح شعبان ـ (١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨ م).

٨١ ـ **جامع العلوم والحكم**: ابن رجب الحنبلي، دار الفكر، بيروت.

٨٢ ـ **الجامع لأخلاق الراوي، وآداب السامع**: الخطيب البغدادي، مكتبة المعارف بالرياض، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

٨٣ ـ **الجهاد والقتال في السياسة الشرعية**: محمد خير هيكل، دار البيارق، عمان ـ بيروت، ط١ ـ ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.

٨٤ ـ **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح**: ابن تيمية، مطابع المجد.

٨٥ - **جوامع السيرة**: ابن حزم (ت - ٤٥٦هـ)، تحقيق الدكتور إحسان عباس، والدكتور ناصر الدين الأسد، ط - دار إحياء السنة، باكستان.

٨٦ - **جيل النصر المنشود**: د.يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، القاهرة - مصر، ط٦ - ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

(ح)

٨٧ - **حاشية ابن عابدين**: مطابع مصطفى البابي وأولاده.

٨٨ - **حدائق الأنوار ومطالع الأسرار**: لابن الدَّيْبَع الشيباني، تحقيق عبد الله إبراهيم الأنصاري، مطابع محمد هاشم الكتبي - دمشق، على نفقة الشيخ خليفة آل ثاني أمير دولة قطر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩ م.

٨٩ - **حديث القرآن عن غزوات الرسول ﷺ**: د.محمد بكر آل عابد، دار الغرب الإسلامي، ط - ١.

٩٠ - **الحرب النفسية ضد الإسلام في عهد الرسول ﷺ في مكة**: د.عبد الوهاب كحيل، عالم الكتب بيروت، ط١ - ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٩١ - **الحركة السنوسية في ليبيا**: علي محمد الصَّلابيّ، دار البيارق، عمان ط١ - ١٩٩٩م.

٩٢ - **حقوق النبي ﷺ على أمته**: د.محمد بن خليفة التميمي، دار أضواء السلف، ط١ - ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٩٣ - **الحكم والتحاكم في خطاب الوحي**: عبد العزيز مصطفى كامل، دار طيبة، ط١ - ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

٩٤ - **الحكومة الإسلامية**: أبو الأعلى المودودي - ترجمة أحمد إدريس - المختار الإسلامي للطباعة والنشر - القاهرة - ط١ - ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.

٩٥ - **حلية الأولياء**: أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٥١م.

٩٦ - **حوار الرسول مع اليهود**: د.محسن الناظر، دار الوفاء مصر، ط٢ - ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

(خ)

٩٧ - **خاتم النبيين ﷺ**: الشيخ محمد أبو زهرة، دار الفكر، بيروت، ط١ - ١٩٧٢م.

٩٨ - **الخصائص العامة للإسلام**: د.يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، ط٤ - ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

٩٩ - **الخصائص الكبرى**: عبد الرحمٰن بن أبي بكر السيوطي، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان.

(د)

١٠٠ - **دائرة المعارف الكاثوليكية**، مقال التثليث.

١٠١ - **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**: الإمام السيوطي، الناشر محمد أمين دمج، بيروت - لبنان.

١٠٢ - **دراسات في السيرة النبوية**: د.عماد الدين خليل، دار النفائس، بيروت، لبنان، ط١١ -

١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.

١٠٣ ـ **دراسات في عهد النبوة**: د.عبد الرحمٰن الشجاع، دار الفكر المعاصر ـ صنعاء، اليمن، ط١ ـ ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م.

١٠٤ ـ **دراسات قرآنية**: محمد قطب، دار الشروق، ط٥ ـ ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

١٠٥ ـ **دراسة تحليلية لشخصية الرسول محمد ﷺ**: د.محمد رواس قلعجي، دار النفائس، ط١ ـ ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

١٠٦ ـ **الدرر في اختصار المغازي والسير**: يوسف بن عبد البر، لجنة إحياء التراث، وزارة الأوقاف، القاهرة، مصر، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٤م.

١٠٧ ـ **دروس في الكتمان**: محمود شيت خطاب، مكتبة النهضة، بغداد، ط١٠ ـ ١٩٨٨م.

١٠٨ ـ **دستور للأمة من القرآن والسنّة**: د.عبد الناصر العطار، مؤسسة علوم القرآن، الشارقة، دولة الإمارات، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط١ ـ ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.

١٠٩ ـ **الدعوة الإسلامية**: عبد الغفار عزيز.

١١٠ ـ **دعوة الله بين التكوين والتمكين**: د.علي جريشة، مكتبة وهبة، مصر، ط١ ـ ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

١١١ ـ **دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة**: الحافظ أبو بكر أحمد البيهقي، تحقيق د.عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١ ـ ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

١١٢ ـ **دور المرأة في خدمة الحديث**: آمال قرداش، كتاب الأمة، الدوحة قطر، ط١ ـ ١٤٢٠هـ.

١١٣ ـ **دولة الرسول ﷺ من التكوين إلى التمكين**: د.كامل سلامة الدقس، دار عمار، عمّان، الأردن، ط١ ـ ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.

١١٤ ـ **الدولة العربية الإسلامية**: منصور الحرابي، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية، ليبيا، ط٢ ـ ١٩٨٣م.

١١٥ ـ **ديوان أبي بكر الصديق**: حققه وشرحه راجي الأسمر، دار صادر بيروت، ط١ ـ ١٩٩٧م.

١١٦ ـ **ديوان حسان بن ثابت**: دار الشرق العربي ـ بيروت ـ لبنان ـ ط١٩٩١م.

١١٧ ـ **ديوان حسان بن ثابت**: دار صادر ـ لبنان، بدون تاريخ.

١١٨ ـ **ديوان شوقي، الأعمال الشعرية الكاملة**: دار العودة، بيروت، ط ـ ١٩٨٦م.

١١٩ ـ **ديوان عنترة**: فاروق الطباع، دار القلم، بيروت ـ لبنان.

(ر)

١٢٠ ـ **الرؤى والأحلام في النصوص الشرعية**: أسامة عبد القادر.

١٢١ ـ **الرؤيا ضوابطها وتفسيرها**: هشام الحمصي، دار الكلم الطيب، دمشق ـ بيروت، ط٢ ـ ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

١٢٢ ـ **رجال الإدارة في الدولة الإسلامية**: د.حسين محمد سليمان، دار الإصلاح، الدمام بالسعودية.

١٢٣ ـ **الرحيق المختوم**: صفي الرحمٰن المباركفوري، مؤسسة الرسالة ـ لبنان، ط١ ـ ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

١٢٤ ـ **الرحيق المختوم (أيضاً)**: صفي الرحمٰن المباركفوري. دار الوفاء ـ المنصورة، مصر، ط١ ـ ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

١٢٥ ـ **رسالة الأنبياء**: عمر أحمد عمر، دار الحكمة دمشق، ط١ ـ ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

١٢٦ ـ **الرسول القائد**: محمود شيت خطاب ـ دار مكتبة الحياة، ومكتبة النهضة بغداد، ط٢ ـ ١٩٦٠م.

١٢٧ ـ **الرسول المبلغ**: د.صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار القلم، دمشق، ط١ ـ ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

١٢٨ ـ **الرسول المعلم وأساليبه في التعليم**: الشيخ عبد الفتاح أبو غدة، دار مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب ـ ط١ ـ ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

١٢٩ ـ **الروض الأُنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام**: أبو القاسم السهيلي، تحقيق عبد الرحمٰن الوكيل، دار الكتب الحديثة، ط ـ ١٣٨٧هـ.

(ز)

١٣٠ ـ **زاد المسير في علم التفسير**: أبو الفرج ابن الجوزي، المكتب الإسلامي، ط١ ـ ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٥م.

١٣١ ـ **زاد المعاد في هدي خير العباد**: أبو عبد الله بن القيم، حققه: شعيب الأرناؤوط، وعبد القادر، مؤسسة الرسالة، ط١ ـ ١٣٩٩هـ.

١٣٢ ـ **زاد المعاد (أيضاً)**: ابن القيم، المطبعة المصرية ومكتبتها ـ القاهرة (ب ـ ت).

١٣٣ ـ **زاد اليقين**: لاشين أبو شنب، دار البشير، طنطا ـ مصر، ط ـ ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

١٣٤ ـ **الزهد**: أحمد بن حنبل، دار الريان للتراث، القاهرة، مصر، ط٢ ـ ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

١٣٥ ـ **زيد بن ثابت، كاتب الوحي، وجامع القرآن**: صفوان داوودي، دار القلم، دمشق، ط١ ـ ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م.

(س)

١٣٦ ـ **سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد**: محمد بن يوسف الصالحي، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، لجنة إحياء التراث الإسلامي، مصر، ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م.

١٣٧ ـ **السرايا والبعوث النبوية حول المدينة ومكة**: د.بريك أبو مايلة، دار ابن الجوزي، ط١ ـ ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

١٣٨ ـ **السفارات النبوية**: د.محمد العقيلي، دار إحياء العلوم ـ بيروت، ط١ ـ ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

١٣٩ ـ **سفراء النبي ﷺ**: محمود شيت خطاب، مؤسسة الريان، دار الأندلس الخضراء، ط١ ـ ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

١٤٠ ـ **سنن الدَّارقطْني**: علي بن عمر الدارقطني، وبذيله التعليق المغني لأبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي ـ عالم الكتب ـ لبنان ـ بدون تاريخ.

١٤١ ـ **سنن أبي داود**: الإمام أبو داود، تحقيق وتعليق عزت الدعاس، سورية، ١٣٩١هـ.

١٤٢ ـ **سنن ابن ماجة**: الحافظ أبو عبد الله محمد بن زيد القزويني، دار الفكر.

١٤٣ ـ **سنن الترمذي**: الإمام أبو عيسى الترمذي، دار الفكر، ١٣٩٨هـ.

١٤٤ ـ **سنن النسائي**: أبو عبد الرحمٰن أحمد شعيب النسائي، مطبعة مصطفى الحلبي، القاهرة، ١٩٦٤م.

١٤٥ ـ **سير أعلام النبلاء**: الإمام الذهبي، مؤسسة الرسالة، ط١ ـ ١٤٠٣هـ.

١٤٦ ـ **السير والمغازي لابن إسحاق**: تحقيق سهيل زكار، دار الفكر، ط١ ـ ١٩٧٨م.

١٤٧ ـ **السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون**: علي بن برهان الدين الحلبي، دار المعرفة.

١٤٨ ـ **سيرة الرسول ﷺ، صور مقتبسة من القرآن الكريم**: الأستاذ محمد عزة دروزة، عني بها الأستاذ عبد الله إبراهيم الأنصاري، المؤتمر العالمي للسيرة النبوية ـ الدوحة قطر ـ ١٤٠٠هـ.

١٤٩ ـ **السيرة النبوية**: أبو الحسن الندوي: دار الشروق ـ جدة، طبعة أخرى توزيع دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة ـ ط٧ ـ ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧م.

١٥٠ ـ **السيرة النبوية، دراسة تحليلية**: محمد أبو فارس، دار الفرقان، عمان، ط١ ـ ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

١٥١ ـ **السيرة النبوية**: الإمام الذهبي تحقيق حسام الدين القدسي، مكتبة هلال بيروت.

١٥٢ ـ **السيرة النبوية الصحيحة**: د.أكرم العمري، مكتبة العلوم والحكم بالمدينة المنورة، ط١ ـ ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

١٥٣ ـ **السيرة النبوية تربية أمة وبناء دولة**: صالح أحمد الشامي، المكتب الإسلامي، ط١ ـ ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

١٥٤ ـ **السيرة النبوية دروس وعِبَر**: د.مصطفى السباعي، المكتب الإسلامي بيروت، لبنان، ط٩ ـ ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

١٥٥ ـ **السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنّة**: د.محمد أبو شهبة، دار القلم، دمشق، ط٣ ـ ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

١٥٦ ـ **السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية**: د.مهدي رزق الله أحمد، مركز الملك فيصل

للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ط١ ـ ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

١٥٧ ـ **السيرة النبوية**: أبو حاتم البستي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط١ ـ ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

١٥٨ ـ **السيرة النبوية**: أبو محمد بن عبد الملك بن هشام، دار الفكر، (ب ـ ت).

١٥٩ ـ **السيرة النبوية**: لابن هشام مع شرح أبي ذر الخشني.

١٦٠ ـ **السيرة النبوية**: ابن هشام تحقيق وضبط: مصطفى السقا، إبراهيم الإبياري، عبد الحفيظ شلبي ـ مطبعة مصطفى البابي الحلبي ـ مصر ط٢ ـ ١٣٧٥هـ ـ ١٩٥٥م.

١٦١ ـ **السيرة النبوية**: ابن كثير، تحقيق مصطفى عبد الواحد، دار الفكر بيروت ـ لبنان، ط٢ ـ ١٣٩٨هـ.

١٦٢ ـ **السيرة النبوية**: محمد الصويّاني، مؤسسة الريان، ط١ ـ ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

(ش)

١٦٣ ـ **شذرات الذهب**: عبد الحي بن العماد الحنبلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٦٤ ـ **شرح ديوان حسان بن ثابت**: ضبطه وصححه عبد الرحمٰن البرقوقي ـ دار الأندلس، بيروت (ب ـ ت)، وذكر البرقوقي في مقدمته لشرح ديوان المتنبي أنه أنجز شرح ديوان سيدنا حسان سنة (١٣٤٨هـ ـ ١٩٢٩م).

١٦٥ ـ **شرح السنّة**: أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، القاهرة، ط١ ـ ١٩٩٥م.

١٦٦ ـ **شرح الشفا**: نور الدين مُلاّ علي قاري ـ تحقيق حسنين مخلوف، مطبعة المدني ـ القاهرة، ١٣٩٨هـ.

١٦٧ ـ **شرح العقيدة الطحاوية**: ابن أبي العز الحنفي، تحقيق وتعليق د.عبد الله بن عبد المحسن التركي، وشعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٤ ـ ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

١٦٨ ـ **شرح المعلقات**: الحسين الزوزني، تحقيق يوسف علي بدوي، دار ابن كثير، دمشق، ط١ ـ ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م.

١٦٩ ـ **شرح المواهب اللدنية للقسطلاني**: محمد بن عبد الباقي الزرقاني، دار المعرفة، بيروت.

١٧٠ ـ **شرح النووي على صحيح مسلم**: للإمام النووي (ت ٦٧٦هـ) ـ ط ـ ١ المطبعة المصرية ومكتبتها ـ القاهرة ـ ١٣٤٧هـ ـ ١٩٢٩م.

١٧١ ـ **الشفا بتعريف حقوق المصطفى**: الإمام القاضي عياض، استانبول، عثمانية.

(ص)

١٧٢ ـ **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء**: أحمد بن علي القلقشندي، تحقيق محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١ ـ ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

١٧٣ ـ **الصحابي الشاعر عبد الله بن الزَّبَعْرَي**: تأليف محمد علي كابتي، دار القلم، دمشق، سورية، ط١ ـ ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م.

١٧٤ ـ **صحيح البخاري**: محمد بن إسماعيل البخاري، دار الفكر، ط١ ـ ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

١٧٥ ـ **صحيح الجامع الصغير وزيادته**: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت ـ لبنان، ط٣ ـ ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

١٧٦ ـ **صحيح السيرة النبوية، المسماة السيرة الذهبية**: محمد بن رزق الطرهوني، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط١ ـ ١٤١٤هـ.

١٧٧ ـ **صحيح السيرة النبوية**: إبراهيم العلي، دار النفائس، ط٣ ـ ١٤٠٨هـ ـ ١٩٩٨م.

١٧٨ ـ **صحيح سنن ابن ماجة**: ناصر الدين الألباني، مكتب التربية العربي لدول الخليج الرياض، ط٣ ـ ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

١٧٩ ـ **صحيح مسلم**: تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، ط٢ ـ ١٩٧٢م.

١٨٠ ـ **الصراع مع الصليبيين**: د.محمد عبد القادر أبو فارس، دار البشير، طنطا، ط ـ ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م.

١٨١ ـ **الصراع مع اليهود**: د.محمد أبو فارس، دار الفرقان، ط١ ـ ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م.

١٨٢ ـ **صفة الصفوة**: ابن الجوزي، تحقيق: محمود فاخوري، ومحمد رواس قلعجي، دار المعرفة، بيروت ط٢ ـ ١٣٩٩هـ.

١٨٣ ـ **صفة الغرباء**: سلمان العودة، دار ابن الجوزي، ط٢ ـ ١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م.

١٨٤ ـ **صفوة التفاسير**: محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت، ط١ ـ ١٤٠١هـ.

١٨٥ ـ **صلاح الدين الأيوبي**: عبد الله علوان.

١٨٦ ـ **صلح الحديبية**: محمد أحمد باشميل، دار الفكر، ط٣ ـ ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م.

١٨٧ ـ **صور من حياة الرسول ﷺ**: أمين دويدار، دار المعارف، القاهرة، ط٤ ـ (ب ـ ت).

١٨٨ ـ **صور وعِبَر من الجهاد النبوي في المدينة**: د.محمد فوزي فيض الله، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت ط١ ـ ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

(ض)

١٨٩ ـ **ضوابط المصلحة**: د.محمد سعيد رمضان البوطي، مؤسسة الرسالة، ط٤ ـ ١٤٠٢هـ.

(ط)

١٩٠ ـ **الطاعة والمعصية وأثرهما في المجتمع**: محمد بن العثيمين، غزوة أحد.

١٩١ ـ **طبقات الشعراء الجاهليين والإسلاميين**: محمد بن سلاَّم الجُمَحي، بدون معلومات نشر.

١٩٢ ـ **طبقات ابن سعد الكبرى**: محمد بن سعد الزهري، دار صادر، ودار بيروت للطباعة

والنشر، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م.

١٩٣ - **طريق النبوة والرسالة**: د.حسين مؤنس، دار الرشاد، ط٢ - ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

١٩٤ - **الطريق إلى المدائن**: أحمد عادل كمال، دار النفائس، بيروت لبنان، ط٥ - ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

١٩٥ - **الطريق إلى المدينة**: محمد العبده، دار الجوهرة، عمان ط٢ - ١٩٩٩م.

١٩٦ - **الطريق إلى جماعة المسلمين**: حسين بن محسن بن عي جابر، دار الوفاء بالمنصورة - مصر - ط٥ - ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.

(ظ)

١٩٧ - **ظاهرة الإرجاء**: سفر الحوالي، مكتبة الطيب، القاهرة - مصر - ط١ - ١٤١٧هـ.

(ع)

١٩٨ - **العبادة في الإسلام**: يوسف القرضاوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١٢ - ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

١٩٩ - **عبد الله بن مسعود**: عبد الستار الشيخ، دار القلم، دمشق، ط٢ - ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

٢٠٠ - **العبقرية العسكرية في غزوات الرسول ﷺ**: محمد فرج، دار الفكر العربي، القاهرة، ط٣ - ١٩٧٧م.

٢٠١ - **عقيدة أهل السنة في الصحابة**: د.ناصر حسن الشيخ، مكتبة الرشد، ط١ - ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

٢٠٢ - **علاج القرآن الكريم للجريمة**: د.عبد الله الشنقيطي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط١ - ١٤١٣هـ.

٢٠٣ - **العلاقات الخارجية للدولة الإسلامية**: د.سعيد عبد الله حارب المهيري، مؤسسة الرسالة، ط١ - ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

٢٠٤ - **علاقة الآباء بالأبناء في الشريعة الإسلامية**: د.سعاد الصالح، الناشر تهامة جدة، ط١ - ١٤٠١هـ.

٢٠٥ - **عمدة التفسير (مختصر ابن كثير)**: الشيخ أحمد شاكر - مكتبة التراث الإسلامي - مصر، ط - ١٩٩١م.

٢٠٦ - **عمدة القاري، شرح صحيح البخاري**: بدر الدين العيني.

٢٠٧ - **العهد والميثاق في القرآن الكريم**: د.ناصر العمر، دار العاصمة ط١ - ١٤١٣هـ.

٢٠٨ - **عون المعبود، شرح سنن أبي داود**: محمد شمس الحق العظيم آبادي تحقيق عبد الرحمٰن محمد عثمان، دار الفكر - بيروت.

٢٠٩ - **عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير**: ابن سيد الناس، دار المعرفة، بيروت.

(غ)

٢١٠ ـ **الغرباء الأولون**: سلمان العودة، دار ابن الجوزي، الدمام السعودية، ط٣ ـ ١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م.

٢١١ ـ **غزوة أحد**: أحمد عز الدين.

٢١٢ ـ **غزوة أحد دراسة دعوية**: محمد عيظة بن سعيد بن مذحج، دار أشبيليا، ط١ ـ ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

٢١٣ ـ **غزوة أُحد**: د.محمد عبد القادر أبو فارس، دار الفرقان، عمان ـ الأردن، ط١ ـ ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.

٢١٤ ـ **غزوة الأحزاب**: د.محمد عبد القادر أبو فارس، دار الفرقان، عمان، ط١ ـ ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

٢١٥ ـ **غزوة الأحزاب**: محمد أحمد باشميل، دار الفكر ط٥ ـ ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م.

٢١٦ ـ **غزوة بدر الكبرى الحاسمة**: محمود خطاب.

٢١٧ ـ **غزوة بدر الكبرى**: د.محمد أبو فارس، دار الفرقان ط١ ـ ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.

٢١٨ ـ **غزوة بدر الكبرى**: محمد أحمد باشميل، دار الفكر ط٦ ـ ١٣٩٤هـ.

٢١٩ ـ **غزوة تبوك**: محمد أحمد باشميل، دار الفكر، بيروت.

(ف)

٢٢٠ ـ **فتح الباري**: ابن حجر العسقلاني، دار المعرفة، بيروت ـ لبنان.

٢٢١ ـ **الفتح الرباني، في ترتيب مسند الإمام أحمد**: أحمد عبد الرحمٰن البنا ـ الشهير (الساعاتي)، مطبعة الفتح الرباني بالقاهرة، ط١، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ ط٢ ـ (ب ـ ت). مصورة عن الطبعة التي تمت في حياة المؤلف قبل ١٩٥٨م.

٢٢٢ ـ **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**: محمد بن علي الشوكاني، دار الفكر.

٢٢٣ ـ **الفصل في الملل والأهواء والنحل**: لابن حزم، مكتبة السلام العالمية.

٢٢٤ ـ **فصول في السيرة النبوية**: عبد المنعم السيد.

٢٢٥ ـ **فقه الإسلام، شرح بلوغ المرام**: فضيلة الشيخ عبد القادر شيبة الحمد، مطابع الرشيد، المدينة المنورة، ط١ ـ ١٤٠٣هـ.

٢٢٦ ـ **فقه الابتلاء**: محمد أبو صعيليك، دار البيارق، عمان ـ بيروت، ط١ ـ ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

٢٢٧ ـ **فقه التمكين في القرآن الكريم**: د.علي محمد الصلاَّبي، دار البيارق، عمَّان ط١ ـ ١٩٩٩م.

٢٢٨ ـ **فقه الدعوة إلى الله**: د.علي عبد الحليم محمود، دار الوفاء، ط١ ـ ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.

٢٢٩ ـ **فقه الدعوة الفردية**: د.السيد محمد نوح، دار اقرأ، صنعاء.

٢٣٠ ـ **فقه الزكاة**: د.القرضاوي، مكتبة وهبة، ط٢١ ـ ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

٢٣١ ـ **الفقه السياسي للوثائق النبوية**: خالد الفهداوي، دار عمار ط١ ـ ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

٢٣٢ ـ **فقه السيرة النبوية**: منير الغضبان، مهد البحوث العلمية وإحياء التراث، مكة المكرمة.

٢٣٣ ـ **فقه السيرة**: د.محمد سعيد رمضان البوطي، دار الفكر، دمشق ـ سورية، ط١١، ط٦ ـ دار السلام ـ القاهرة ١٤١٩هـ ـ .١٩٩٩

٢٣٤ ـ **فقه السيرة**: الغزالي، دار القلم، دمشق ـ سورية ط٤ ـ ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.

٢٣٥ ـ **فلسفة التربية الإسلامية**: ماجد عرسان الكيلاني، مكتبة هادي، مكة المكرمة، ط ـ ١٤٠٩هـ.

٢٣٦ ـ **الفوائد**: محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، دار الريان للتراث، القاهرة مصر، ط١ ـ ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

٢٣٧ ـ **في السيرة النبوية قراءة لجوانب الحذر والحماية**: د.إبراهيم علي محمد، وزارة الأوقاف بدولة قطر، ط١ ـ رجب ١٤١٧هـ.

٢٣٨ ـ **في ظلال السيرة النبوية، الهجرة النبوية**: د.محمد عبد القادر أبو فارس، دار الفرقان، عمان ـ الأردن ط٢ ـ ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

٢٣٩ ـ **في ظلال القرآن**: سيد قطب، دار الشروق ط٩ ـ ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.

(ق)

٢٤٠ ـ **القاموس المحيط**: مجد الدين محمد الفيروزآبادي، مطبعة مصطفى البابي وأولاده، بمصر، ط٢ ـ ١٣٧١هـ ـ ١٩٥٢م.

٢٤١ ـ **قراءة سياسة للسيرة النبوية**: محمد قلعجي، دار النفائس بيروت، لبنان، ط١ ـ ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

٢٤٢ ـ **قصيدة بانت سعاد لكعب بن زهير وأثرها في التراث العربي**: د.السيد إبراهيم محمد، المكتب الإسلامي، ط١ ـ ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

٢٤٣ ـ **قضايا في المنهج**: سلمان العودة، دار مكتبة القدس، ط٣ ـ ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

٢٤٤ ـ **قضايا نساء النبي ﷺ والمؤمنات**: حفصة بنت عثمان الخليفي، دار المسلم ط١ ـ ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

٢٤٥ ـ **قواعد الأحكام في مصالح الأنام**: عز الدين بن عبد السلام السلمي (ت ـ ٦٦٠هـ)، المكتبة الحسينية المصرية، بجوار الأزهر، ط١ ـ ١٣٥٣هـ ـ ١٩٣٤م.

٢٤٦ ـ **القول المبين في سيرة سيد المرسلين**: د.محمد الطيب النجار، دار اللواء، الرياض،

١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.

٢٤٧ ـ **قيادة الرسول السياسة والعسكرية**: أحمد راتب عرموش، دار النفائس، ط١ ـ ١٤١٩هـ ـ ١٩٨٩م.

٢٤٨ ـ **القيادة العسكرية في عهد الرسول ﷺ**: دار القلم ط١ ـ ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.

(ك)

٢٤٩ ـ **الكامل في التاريخ**: لابن الأثير، دار صادر ـ بيروت.

(ل)

٢٥٠ ـ **لسان العرب**: محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت.

٢٥١ ـ **لقاء المؤمنين**: عدنان النحوي، مطابع الفرزدق التجارية، الرياض ـ السعودية ط٣ ـ ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

(م)

٢٥٢ ـ **ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين**: أبو الحسن الندوي، ط٧ ـ دار المعارف، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

٢٥٣ ـ **المال في القرآن الكريم**: سليمان الحصين، دار المعراج الدولية، ط١ ـ ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

٢٥٤ ـ **مباحث في إعجاز القرآن**: مصطفى مسلم، دار المسلم، الرياض، ط٢ ـ ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

٢٥٥ ـ **مباحث في التفسير الموضوعي**: مصطفى مسلم، دار القلم، دمشق ـ سورية.

٢٥٦ ـ **مباحث في علوم القرآن**: مناع القطان، مكتبة المعارف، الرياض، ط٨ ـ ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.

٢٥٧ ـ **مبادىء علم الإدارة**: محمد نور الدين عبد الرزاق، مكتبة الخدمات الحديثة، جدة ـ السعودية، ط١ ـ (ب ـ ت).

٢٥٨ ـ **مبادىء نظام الحكم في الإسلام**: عبد الحميد متولي، دار المعارف ط١.

٢٥٩ ـ **المبسوط**: شمس الدين السَّرْخسِيّ، مطبعة السعادة، مصر، ط١.

٢٦٠ ـ **المجتمع المدني في عهد النبوة**: د.أكرم العمري ط١ ـ ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.

٢٦١ ـ **مجلة المجتمع الكويتية**: عدد رقم ٢٤٨، ١٧ صفر ١٣٩٩هـ.

٢٦٢ ـ **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**: نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، بتحرير الحافظين العراقي وابن حجر، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣ ـ ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.

٢٦٣ ـ **مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية**: جمع عبد الرحمٰن بن محمد قاسم العاصمي النجدي، المكتب التعليمي السعودي بالمغرب.

٢٦٤ ـ **مجموعة الوثائق السياسية**: لمحمد حميد الله، دار النفائس ط٥ ـ ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

٢٦٥ ـ **محاسن التأويل**: (تفسير)، محمد جمال الدين القاسمي، دار الفكر، بيروت.

٢٦٦ ـ **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (تفسير ابن عطية)**: أبو محمد عبد الحق بن غالب الأندلسي، تحقيق المجلس العلمي بفاس، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب، ط١٣٩٥هـ.

٢٦٧ ـ **محمد رسول الله ﷺ**: محمد الصادق عرجون، دار القلم، ط٢ ـ ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

٢٦٨ ـ **محمد رسول الله ﷺ**: محمد رضا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٥م.

٢٦٩ ـ **محنة المسلمين في العهد المكي**: د.سليمان السويكت، مكتبة التوبة، الرياض ط١ ـ ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

٢٧٠ ـ **المختار من كنوز السنة**: محمد عبد الله دراز، دار الأنصار القاهرة، ط٢ ـ ١٩٧٨م.

٢٧١ ـ **مختصر الصواعق المرسلة على الجمهية والمعطلة**: لابن قيم الجوزية، اختصره محمد الموصلي، مكتبة الرياض الحديثة.

٢٧٢ ـ **مختصر سيرة الرسول ﷺ**: الشيخ محمد بن عبد الوهاب، جامعة الإمام محمد بن سعود.

٢٧٣ ـ **مختصر صحيح مسلم**: الحافظ زكي الدين المنذري، تحقيق محمد ناصر الألباني، المكتب الإسلامي ـ دمشق، ط٣ ـ ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م.

٢٧٤ ـ . **المدخل إلى العقيدة والاستراتيجية العسكرية**: محمد جمال الدين علي محفوظ، مطابع الهيئة المصرية للكتاب بالقاهرة.

٢٧٥ ـ **مدخل لفهم السيرة**: د.يحيى اليحيى، أخذها المؤلف من صاحبها قبل أن يطبعها.

٢٧٦ ـ **المدرسة النبوية العسكرية**: د.أبو فارس، دار الفرقان، عمان.

٢٧٧ ـ **المدينة النبوية فجر الإسلام والعصر الراشدي**: محمد حسن شراب، دار القلم، دمشق، الدار الشامية بيروت، ط١ ـ ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.

٢٧٨ ـ **المرأة في العهد النبوي**: د.عصمة الدين كركر، دار الغرب الإسلامي، ط١ ـ بيروت، ١٩٩٣م.

٢٧٩ ـ **مرض النبي ﷺ ووفاته وأثره على الأمة**: خالد أبو صالح، دار الوطن، ط١ ـ ١٤١٤هـ.

٢٨٠ ـ **مرويات غزوة أحد**: حسين أحمد الباكري، رسالة ماجستير نوقشت في الجامعة الإسلامية، إشراف د.أكرم العمري عام ١٣٩٩هـ.

٢٨١ ـ **مرويات غزوة الحديبية**: د.حافظ الحكمي، دار ابن القيم، ط١ ـ ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

٢٨٢ ـ **مرويات غزوة بدر**: أحمد باوزير، مكتبة طيبة، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.

٢٨٣ ـ **مرويات غزوة بني المصطلق**: إبراهيم القريبي، طبع المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط١ ـ عام ١٤٠٢هـ.

٢٨٤ ـ **مساجد القاهرة ومدارسها**: أحمد فكري، طالإسكندرية ١٩٦١م.

٢٨٥ ـ **المستدرك على الصحيحين**: الإمام أبي عبد الله الحاكم النيسابوري، وبذيله التلخيص للذهبي، نشر مكتب المطبوعات الإسلامية، ط ـ ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧٠م.

٢٨٦ ـ **المستدرك على الصحيحين (أيضاً)**: الحاكم مع التلخيص للذهبي، الناشر مكتبة النصر الحديثة، الرياض ط. ب. ت، تصوير عن ط ـ دائرة المعارف النظامية بحيدرآباد الدكن، الهند ١٣٤١هـ.

٢٨٧ ـ **المستشفيات الإسلامية**: د.عبد الله عبد الرزاق مسعود العيد، دار الضياء للنشر والتوزيع. عمان، الأردن، ط١ ـ ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧م.

٢٨٨ ـ **المستطرف في كل فن مستظرف**: شهاب الدين الإبشيهي، مكتبة الحياة ـ بيروت.

٢٨٩ ـ **المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة**: د.عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، ط١ ـ ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

٢٩٠ ـ **المسلمون والروم في عصر النبوة**: عبد الرحمٰن أحمد سالم، دار الفكر العربي، ط ـ ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

٢٩١ ـ **مسند أبي يعلى الموصلي**: الحافظ أحمد بن علي التميمي، تحقيق حسين سليم أسد ـ دار المأمون للتراث، دمشق، بيروت ـ ط١ ـ ١٤٠٤ ـ ١٤٠٩هـ= ١٩٨٤ ـ ١٩٨٨م.

٢٩٢ ـ **المسند**: أحمد بن حنبل، المكتب الإسلامي، بيروت.

٢٩٣ ـ **المسند**: الإمام أحمد، أشرف على تحقيقه: شعيب الأرناؤوط مؤسسة الرسالة ـ لبنان، ط١ ـ ١٤١٢هـ ـ ١٤٢٢هـ= ١٩٩٢ ـ ٢٠٠١م.

٢٩٤ ـ **المسند**: الإمام أحمد، تحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر (ج ١ ـ ١٥) دار المعارف ـ مصر ط٣ ـ ١٣٦٨هـ ـ ١٩٧٥م.

٢٩٥ ـ **المسند**: الإمام أحمد، (من المجلد الثالث إلى السادس) تحقيق طائفة من المخرجين بعناية أبي عاصم حسن عباس قطب ـ مؤسسة قرطبة ـ القاهرة ـ مصر ط١ ـ ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

٢٩٦ ـ **المشروع الإسلامي لنهضة الأمة، قراءة في فكر الإمام حسن البنا**: لمجموعة من الباحثين لم تطبع حتى كتابة هذا البحث [1].

٢٩٧ ـ **مشكاة المصابيح**: الخطيب التبريزي ـ تحقيق محمد ناصر الدين الألباني المكتب الإسلامي، دمشق ط١ ـ ١٣٨١هـ ـ ١٩٦١، ط٣ ـ ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

٢٩٨ ـ **مصعب بن عمير، الداعية المجاهد**: محمد حسن بريغش، دار القلم ـ دمشق، ط٤ ـ

(١) طبع فيما بعد بعنوان: حول أساسيات المشروع الإسلامي لنهضة الأمة ـ قراءة في فكر الإمام الشهيد حسن البنا ـ المركز الإسلامي للدراسات والبحوث ـ إعداد: أ. د. عبد الحميد الغزالي.

١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

٢٩٩ ـ **مصنف عبد الرزاق**: أبو بكر عبد الرزاق بن همّام الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمٰن الأعظمي، ط١.

٣٠٠ ـ **المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية**: ابن حجر العسقلاني، تحقيق: حبيب الرحمٰن الأعظمي.

٣٠١ ـ **معارك خالد بن الوليد**: د.ياسين سويد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط٤ ـ ١٩٨٩م.

٣٠٢ ـ **معالم قرآنية في الصراع مع اليهود**: د.مصطفى مسلم محمد، دار المسلم، الرياض، ط١ ـ ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م.

٣٠٣ ـ **المعاهدات في الشريعة الإسلامية والقانون الدولي**: د.محمد الديك، دار الفرقان للنشر والتوزيع، ط٢ ـ ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

٣٠٤ ـ **معجم البلدان**: ياقوت الحموي، دار صادر، ودار بيروت، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.

٣٠٥ ـ **معجم الطبراني (المعجم الكبير)**: سليمان بن أحمد الطبراني، دار العربية، بغداد، ١٣٩٨هـ.

٣٠٦ ـ **المعجم الكبير**: أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، (م: ٢٦٠هـ ت: ٣٦٠ م) دار مكتبة العلوم والحكم، القاهرة ط٢ ـ ١٤٠٦هـ ١٩٨٥ م، مكتبة ابن تيمية بتحقيق حمدي السلفي ط٢ ـ ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٣م.

٣٠٧ ـ **معركة الوجود بين القرآن والتلمود**: د.عبد الستار فتح الله سعيد، دار التوزيع والنشر الإسلامية.

٣٠٨ ـ **المعوقون للدعوة الإسلامية في عهد النبوة وموقف الإسلام منها**: د.سميرة محمد جمجوم، دار المجتمع جدة، ط١ ـ ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

٣٠٩ ـ **المغازي النبوية**: تحقيق سهيل زكار، للزهري، دار الفكر، دمشق ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.

٣١٠ ـ **مغازي رسول الله ﷺ**: عروة بن الزبير، تحقيق د.محمد الأعظمي، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، ط١ ـ ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.

٣١١ ـ **المغازي**: محمد عمر الواقدي (ت: ٢٠٧هـ) تحقيق د.مارسدن جونس، عالم الكتب، بيروت ط٣ ـ ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.

٣١٢ ـ **مفاهيم ينبغي أن تصحح**: محمد قطب، دار الشروق ـ القاهرة، ط٨ ـ ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

٣١٣ ـ **المفصل في أحكام النساء**: د.عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، ط١ ـ ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

٣١٤ ـ **مقاصد الشريعة الإسلامية**: د.محمد سعد اليوبي، دار الهجرة، الرياض ط١ ـ ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م.

٣١٥ ـ **المقاصد العامة للشريعة الإسلامية**: يوسف حامد العالم، الدار العلمية للكتاب الإسلامي الرياض، ط٢ ـ ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٣م.

٣١٦ ـ **مقدمة ابن الصلاح**: أبو عمرو ابن الصلاح، وشرحها للحافظ العراقي، ط ـ دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان.

٣١٧ ـ **مقدمة ابن خلدون**: عبد الرحمٰن بن خلدون، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ط(ب ـ ت).

٣١٨ ـ **مقومات الداعية الناجح**: د.علي بادحدح، دار الأندلس الخضراء، جدة ط١ ـ ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

٣١٩ ـ **مقومات السفراء في الإسلام**: حسن فتح الباب، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة ـ ١٩٧٠م.

٣٢٠ ـ **مقومات النصر**: د.أحمد أبو الشباب، المكتبة العصرية، لبنان ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

٣٢١ ـ **مكة والمدينة في الجاهلية وعصر الرسول**: للأستاذ أحمد الشريف.

٣٢٢ ـ **ملامح الشورى في الدعوة الإسلامية**: عدنان النحوي، ط٢.

٣٢٣ ـ **من معين السيرة**: صالح أحمد الشامي، المكتب الإسلامي، ط٢ ـ ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م.

٣٢٤ ـ **من هدي سورة الأنفال**: محمد أمين المصري ـ مكتبة دار الأرقم ـ الكويت.

٣٢٥ ـ **المنافقون**: محمد جميل غازي، مكتبة المدني ومطبعتها جدة ـ السعودية ١٩٧٢م.

٣٢٦ ـ **منامات الرسول ﷺ**: عبد القادر الشيخ إبراهيم، دار القلم العربي بحلب ط١ ـ ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م.

٣٢٧ ـ **مناهج وآداب الصحابة في التعلم والتعليم**: د.عبد الرحمٰن البر، دار اليقين المنصورة، ط١ ـ ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

٣٢٨ ـ **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**: أبو الفرج ابن الجوزي، دراسة وتحقيق محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان.

٣٢٩ ـ **منهاج السنّة النبوية**: ابن تيمية، مؤسسة قرطبة للطباعة والنشر والتوزيع ط١ ـ ١٤١٦هـ ـ ١٩٨٦م.

٣٣٠ ـ **المنهاج القرآني في التشريع**: عبد الستار فتح الله سعيد، دار التوزيع والنشر الإسلامية ـ ط١ ـ ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م.

٣٣١ ـ **منهج الإعلام الإسلامي في صلح الحديبية**: سليم حجازي، دار المنارة، ط١ ـ ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

٣٣٢ ـ **منهج الإسلام في تزكية النفس**: د.أنس أحمد كرزون، دار نور المكتبات، دار ابن حزم ـ ط٢ ـ ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

٣٣٣ ـ **المنهج التربوي للسيرة النبوية ـ التربية الجهادية**: منير الغضبان، مكتبة المنار ط١ ـ ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

٣٣٤ ـ **منهج التربية الإسلامية**: محمد قطب، دار الشروق ط٥ ـ ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

٣٣٥ ـ **المنهج الحركي للسيرة النبوية**: منير الغضبان، مكتبة المنار ـ الأردن ـ ط٣ ـ ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م.

٣٣٦ ـ **منهج الرسول في غرس الروح الجهادية في نفوس أصحابه**: د.السيد محمد نوح، جامعة الإمارات العربية المتحدة ـ ط١ ـ ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م.

٣٣٧ ـ **الموازنة بين ذوق السماع وذوق الصلاة والقرآن**: الإمام ابن قيم الجوزية، تحقيق: مجدي فتحي السيد.

٣٣٨ ـ **الموافقات في أصول الشريعة**: لأبي إسحاق إبراهيم موسى اللخمي الشهير بالشاطبي، دار الفكر ـ ١٣٤١هـ.

٣٣٩ ـ **الموسوعة في سماحة الإسلام**: محمد الصادق عرجون، الدار السعودية للنشر والتوزيع، جدة، ط٢ ـ ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.

(ن)

٣٤٠ ـ **نشأة الدولة الإسلامية**: د.عون الشريف قاسم، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط٢ ـ ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.

٣٤١ ـ **نصب الراية في أحاديث الهداية ـ بحاشية بغية الألمعي في تخريج الزيلعي**: عبد الله بن يوسف بن محمد الزيلعي ـ المكتب الإسلامي ـ دمشق، ١٣٩٣هـ.

٣٤٢ ـ **نظام الحكم، في الشريعة والتاريخ الإسلامي**: ظافر القاسمي، دار النفائس ط٦ ـ ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م.

٣٤٣ ـ **نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية**: محمد عبد الحي الكتاني، دار الأرقم، بيروت ـ لبنان، ط٢.

٣٤٤ ـ **النظام السياسي في الإسلام**: د.محمد عبد القادر أبو فارس، دار الفرقان ط٢ ـ ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٦م.

٣٤٥ ـ **نظرات في رسالة التعاليم**: محمد بن عبد الله الخطيب، محمد عبد الحليم حامد ـ دار التوزيع والنشر الإسلامية ـ مصر ١٩٩٥م.

٣٤٦ ـ **نظرات في السيرة**: الإمام حسن البنا، سجلها وأعدها للنشر أحمد عيسى عاشور مكتبة الاعتصام، القاهرة، ط١ ـ ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.

٣٤٧ ـ **نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم**: إعداد مجموعة من المختصين بإشراف صالح بن حميد، دار الوسيلة ط١ ـ ١٤١٨هـ.

٣٤٨ ـ **نفوس ودروس في إطار التصوير القرآن**: توفيق محمد سبع، مجمع البحوث الإسلامية القاهرة ط١ ـ (ب ـ ت).

٣٤٩ ـ **النكت والعيون**: (تفسير الماوردي)، أبو الحسن علي بن حبيب الماوردي، تحقيق خضر

محمد خضر ـ وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والتراث الإسلامي بالكويت.

٣٥٠ ـ **النهاية في غريب الحديث**: لابن الأثير، تحقيق طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، ط ـ المكتبة الإسلامية. لصاحبها رياض الشيخ (١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥ م).

٣٥١ ـ **نور اليقين**: محمد الخضري، دار القلم، دمشق.

٣٥٢ ـ **نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار**: محمد بن علي الشوكاني، دار الحديث، القاهرة.

(هـ)

٣٥٣ ـ **الهجرة الأولى في الإسلام**: د.سليمان العودة، دار طيبة للنشر،الرياض، ط١ ـ ١٤١٩هـ.

٣٥٤ ـ **هجرة الرسول وصحابته في القرآن والسنّة**: أحمد عبد الغني النجولي الجمل،دار الوفاء، مصر ط١ ـ ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.

٣٥٥ ـ **الهجرة النبوية المباركة**: د.عبد الرحمٰن البر، دار الكلمة، المنصورة ـ مصر، ط١ ـ ١٤١٨هـ ١٩٩٧م.

٣٥٦ ـ **الهجرة النبوية**: د.محمد أبو فارس.

٣٥٧ ـ **الهجرة في القرآن الكريم**: أحزمي سامعون جزولي، مكتبة الرشد الرياض، ط١ ـ ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

٣٥٨ ـ **هذا الحبيب محمد ﷺ يا محب**: أبو بكر الجزائري، مكتبة لينة.

٣٥٩ ـ **هذا الدين**: سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، ط٤ ـ ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.

(و)

٣٦٠ ـ **واقعنا المعاصر**: محمد قطب، مؤسسة المدينة للصحافة والطباعة والنشر، جدة، ط٢ ـ ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧م.

٣٦١ ـ **الوحي والرسالة**: د.يحيى اليحيى، أخذت من المؤلف صورة قبل الطبع.

٣٦٢ ـ **الوسطية في القرآن الكريم**: د.علي محمد الصلاّبي، دار النفائس، دار البيارق، ط١ ـ ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م.

٣٦٣ ـ **وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى**: أبو الحسن بن عبد الله السمهودي، دار المصطفى، القاهرة ط ـ ١٣٢٦هـ.

٣٦٤ ـ **الوفود في العهد المكي وأثره الإعلامي**: علي رضوان أحمد الأسطل، دار المنار ـ الأردن، ط١ ـ ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.

٣٦٥ ـ **وقفات تربوية مع السيرة النبوية**: أحمد فريد، دار طيبة، الرياض، ط٣ ـ ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

٣٦٦ ـ **وقفات تربوية من السيرة النبوية**: عبد الحميد البلالي، المنار، الكويت، ط٣ـ ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

٣٦٧ - **الولاء والبراء في الإسلام**: محمد سعيد القحطان، دار طيبة الرياض، ط٦ - ١٤١٣هـ.

٣٦٨ - **ولاية الشرطة في الإسلام**: نمر محمد الحميداني، دار عالم الكتب، ط٢ - ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

(ي)

٣٦٩ - **يقظة أولي الاعتبار ما ورد في ذكر الجنة والنار**: لصديق حسن.

٣٧٠ - **اليهود في السُنة المطهرة**: د.عبد الله الشقاري، دار طيبة، الرياض ط١ - ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

٣٧١ - **اليوم الآخر في الجنة والنار**: د.عمر الأشقر، مكتبة الفلاح، الكويت، ط٢ - ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.